حرب الميالين

❊ الكتاب: حرب الميالين
❊ تأليف: د.عمرفوزي مهران
❊ مراجعة لغوية: قسم التحرير بدار المنتدىٰ
❊ تصميم الغلاف: قسم الجرافيك بدار المنتدىٰ
❊ إخراج داخلي: قسم التنسيق بدار المنتدىٰ
❊ رقم الإيداع: **5218/ 2023**
❊ الترقيم الدولي: **978-977-8954-27-2**

المدير العام: الأستاذ عزيز عثمان

لمراسلة الدار: daralmuntadaa@gmail.com
واتس آب: +20 100 518 6476
فيسبوك: دار المنتدى للنشر والتوزيع

رواية

حرب الميالين

د. عمر مهران

المقدمة

لا يوجد شخصٌ رائعٌ طوال الوقت، ولا يوجد شخص كامل أو إنسانًا فوق الوصف.

أُريدُ فقط أن يكون هناك من أستطيع التحدث معه كأنني أُحدِّثُ نفسي، فيكون القرار في مواجهة حرب الميالين قرارًا لمواجهة العالم، فحينما تتصدع المنازل... لا نهدمها؛ طالما ظلت الفرصة متاحة لترميمها، وهكذا هم البشر.

قد نظن أن أروع ما في حياتنا الدنيا هو ما حُرِمنا مِنهُ، وننسى بأن الدنيا ليست سوى دار زراعة، وأن الله لن يسألنا عما حُرِمنا مِنهُ.

فهيا بنا نذهب إلى حرب الميالين، وما أدراك بمن يعيش في معترك تلك الحرب... كيف يعيش!

عمر فوزي

اهداء

إهداء إلى كل من يعاني في حياته ولا يعلم بقدر معاناته إلا الله.
إلى كل مريض بالتصلب المتعدد، الأمراض المناعية، والمزمنة أبشر الخير قادم...
إلى زهرة حياتي ومن اختارها قلبي...
إلى رجل قال لي في يوم من الأيام وأنا على سرير المشفى بدموع مكتومة "لا أريد أن انكسر بسببك يا عمر"
ها أنا انتصر يا أبي وانكسر ظهري، ولم تعد دموعي مكتومة.
وإلى أمي والتي باتت كأمي...
إلى أخي أحمد عضدي في الدنيا، إلى كل القارئين الآن 'فلولا أنتم ما كنت هنا ولا كنت أنا وشعارنا دائمًا معًا نستطيع...

أنت أقوى، تقدر عليه...

الفصل الأول

استيقظتُ في صباح يوم التاسع من يناير (عام 2020) وكان يوماً مليئاً بالنشاط والحيوية، وكعادتي ارتديتُ ملابسي الأنيقة الجذابة ونزلت من بيتي إلى عملي، منذ أن استيقظت وأنا أشعر بشيء غريب يراودني وإحساس داخلي لا أعرف ما هو وكيف أقوم بوصفه لكم، ولكنه كان إحساس غريب! كان كشعور تضارُب في المشاعر وكأن شيئا سوف يحدث!

نسيت أن أخبركم بأمر.، منذ صغري لدي حاسة غريبة؛ وهي أنني أشعر بأشياء سوف تحدث وبالفعل تحدث، لا أعرف ما هي هذه الحاسة وكيف أصفها! ولكنها تكررت مراتٍ ومرات، فكم من منام قد تحقق، وكم من حلم يقظ رايته وبالفعل قد حدث! شعرت في هذا اليوم بانقباض في القلب وأخبرت به زوجتي آن ذاك قلت لها:

- أشعر وكأن شيء غريب سوف يحدث اليوم، لا أعلم ما هو ولكن لدي إحساس غريب، فكوني قوية ولا تتخلي عني مهما حدث.

قالت لي بصوتٍ ينتابه الخوف والقشعريرة:

- ماذا؟ بماذا تشعر! وما هذه الكلمات! ولماذا تخبرني بهذا! هذا على غير عادتك؟!

قلت لها:

- لا تخافي، لمَ كل هذا الارتباك؟ هل فعلتِ شيء تخافين منه!

وضحكت في وجهها وقبلت رأسها كما أفعل في كل مرة أخرج فيها، وخرجت، في أثناء سيري في الطريق كنت أتخيل وأفكر في نظراتها إليّ، ما كل هذه التعبيرات التي ظهرت على وجهك يا حبيبتي؟ ولمَ كل هذا الارتباك؟ هل يا ترى تخبئين عليّ شيء؟ وأخذ عقلي يدور ويدور والشيطان ونفسي لا يتركني، حتى استعذتُ بالله وأكملت طريقي وتركت كل هذه الأفكار خلف ظهري؛

حتى لا يجن عقلي، فعقلي لا يستطيع من الأساس تحمل أي فكرة غير أننا سنعيش طوال العمر لبعضنا ولا يفرقنا إلا الموت.

مرت الدقائق وكأنها ساعات، والساعات كأنها أيام وليالي حتى انتهيت من عملي وأحببت أن أطرد كل هذه الأفكار من رأسي، فاتصلت بزوجتي حبيبتي:

- حبيبتي كيف حالك يا قرة عيني؟

هي:

- الحمد لله، كيف حالك أنت؟
- أنا بخير ولله الحمد لطالما أنكِ بخير أدامك الله في حياتي، ما رأيك انتظرك في المطعم المحبب لنا لكي نقضي الليلة فيه؟ وعندي لكِ مفاجأة أريد أن أقدمها لكِ في جوٍ رومانسي؟

هي:

- لا مشكلة عندي، سأجهز نفسي وآتي لك أنا وأمي.

قلت لها:

- إذن، سأتصل بصديقي محمود يجبلكن إليّ بسيارته.
- حسناً حبيبي، سأجهز نفسي وأتصل بك لترسله.

جلست أحدث نفسي وأنا أنظر لهذا وذاك وفي هاتفي وأقلب نظراتي في كل ركن في المكان وكأني لم أر هذا المكان قبل هذا الوقت، والشعور بدأ يزداد بداخلي وكأن شيء يقترب مني، شيء مجهول وقلبي ينقبض رويداً رويداً، شعور بضيق في الصدر، الدنيا تضيق بي وكأن جبلان ينطبقان عليّ من جانبا المكان! وقفت فجأة من مكاني حتى فزع الشخص الذي يجلس بجواري، قال لي:

- هل هنالك شيء يا أستاذي؟!

قلت له:

- لا، أنا بخير.

نظرت إلى مدخل المكان فوجدت زوجتي ووالدتها وصديقي يدخلون المكان ومن الناحية الأخرى بعضاً من أصدقائي أيضاً يحضرون في نفس الوقت، ابتسمت وحولت لمحات وجهي من الضيق إلى الابتسامة في لحظات، نظرت إلى الجميع قائلاً:

- يا محاسن الصدف، ما هذه الصدف الجميلة!

سلمت على الجميع، احتضنت زوجتي وقبلت رأسها كالعادة، فلم أكن أستحي أن أفعل هذا أمام الجميع؛ لأنها كانت الملكة في حياتي وأنا أميرها، جلسنا نتسامر ونتحدث ونضحك ويتذكر كلاً منا مواقف حياته المضحكة والغريبة منذ صغره، وكلاً منا يروي ما حدث له وكأنها مسابقة أغرب المواقف، حتى أستضاء نور هاتفي إشعار رسالة على أحد برامج التواصل الاجتماعي! رسالة لم أكن أتمنى أن أرى محتواها في يوم من الأيام ولا حتى أتمنى أن يوضع أي شخص مكاني في هذا الوقت أو هذا الوضع، كانت رسالة مليئة بالخيبات والحسرات وكسرة القلب والوجع، نظرت في عين زوجتي ووالدتها وأصدقائي وشعرت بأن الصوت ينخفض من حولي، والضوء ينقص في عيني وغبت عن العالم بما فيه وكأن روحي تسحب من جسدي وصعقة كهربائية قوتها تستطيع أن تشغل محركات مجموعة من السفن لتضرب جسدي ودماغي في أقل من لمح البصر، وكانت هذه بداية الحرب الحقيقية في كل شيء وشعلة بدء العتاب وظهور الحقائق من حولي لكل شخص.

الفصل الثاني

أنا معاذ .، لا أعرف من أين أبدأ حكايتي! ولا أعرف إن كانت حكايتي ستكون محض اهتمام لبعضكم، أم أن كلماتي ستوضع في ركن المكتبة لديكم أم ستلقى بعيداً بعيداً! ولدتُ في عام 1994م، في مصر وبالتحديد في صعيد مصر حيث العادات والتقاليد الاجتماعية التي طالما تعودنا عليها وتفتقدها معظم المجتمعات، تربيتُ وترعرعت في أسرة بسيطة، لدي من الأخوة أربعة،

(رضا) الأخ الأكبر، (حامد) الأخ الأوسط، ويليهم (حمد) ثم (الزهراء) وهي زهرة عمري وزهرة المنزل بأكمله ووحيدتنا وأنا (معاذ) كما يسمونني آخر العنقود، أبي يعمل بوزارة التربية والتعليم، وأمي ربة منزل بسيطة لم تُكمل تعليمها؛ فقد خرجت من الصف الرابع الابتدائي ولكن العقل والحكمة بألف امرأة متعلمة، وفي الطيبة ليس لها مثيل، ليس لأنها أمي، فالكل يشهد لها بذلك، كل أخ من اخوتي له عمله الخاص به، وأختي أيضاً لم تكمل تعليمها، فللأسف كانت عاداتنا أن الفتاة لا تكمل تعليمها، تخرج من تعليمها طالما شب طولها وصلح جسدها للزواج، خرجت وتزوجت صغيرة السن، فقط في سن السادسة عشر أو السابعة عشر من عمرها.

منذ صغري أحب الجلوس مع أبي وسط الكبار أسمع هذا وذاك، وآخذ الحكمة من هذا، وأجادل مع هذا حتى أصبحت لبقاً في كلامي وأنا في سن صغير جداً، كانت قناتي المفضلة على التليفزيون هي قناة مفضلة عند كثيراً ممن يقرأون الآن، لا أعرف أعماركم ولكن أنا أجزم بأن الكثير منكم يعرفها أو على الأقل سمع عنها وهي « Space toon » نعم هي سبيستون قناة شباب المستقبل، هل ستصدقون أنني كنت أتحدث اللغة العربية الفصحى قبل أن أدخل المدرسة بسبب هذه القناة الجميلة، كنت أحفظ القرآن الكريم على

يد أحد الشيوخ وأبناءه بالمسجد المجاور، وكان شيخاً لطيفاً جداً ولكنه صارماً جداً في تحفيظه لنا، رحمة الله عليه كان جميلاً فقد جعلني أحب القرآن وأحب حفظه، فكم هو جميل أن تحب أن تتعلم شيء وبداخلك يتغلغل ويترسخ حب هذا الشيء وحب من يحاول تعليمك إياه، كنت في مدرستي الابتدائية أحب أن أرتل القرآن بطريقة جميلة وبصوت قريب من أحد القراء الصغار، فكان الجميع يحب هذا فيّ، كنا نلعب ونمرح كثيراً، فعلاً كان ينطبق عليّ المثل الذي يقول «آخر العنقود سكر معقود» كما يقال باللهجة المصرية، كنت قريب جداً جداً من مدرسي ومعلمي المدرسة وأشارك في كل النشاطات؛ فأنا الفتى المدلل والطالب المثالي الذي يضع النشاط والحيوية والحماس في أي مجال أقوم بالاشتراك فيه.

صديقي المفضل في الابتدائية هو (عمير) فكان طيب القلب لا يعرف أي شيء في أي شيء إلا الاجتهاد والتفوق في الدراسة وكرة القدم، تربى وعاش في إحدى الدول العربية وجاء لمصر قبل بدء الدراسة مباشرة، فهل تتخيلون ماذا أقصد بكلام! مقصد القول أنه طفل خام، كنت أحبه كثيراً، فكان صديقي المقرب والمفضل ودائماً ما نتحدى بعضنا في كل شيء إلا شيء واحد، وهو كرة القدم؛ فقد كنت أتشاجر حتى أجعله في فريقي؛ لأنه كان بمعنى الكلمة حريف جداً، لاعب ممتاز، كل عام نتسابق من منا يجتهد ليخرج بنتيجة أعلى في نهاية العام، عيد ميلادي أول شخص كان يتذكره هو عمير بعد أبي وأمي ويهاديني إما بهدية بسيطة أو برسمة من رسومات والده، لأن والده فنان ورسام بمعنى الكلمة.

أمي في كل عيد ميلاد لي تضحك في وجهي وتقول لي:

- أنت اليوم ولدت من جديد؛ فدع ماضيك يرحل بكل ما فيه ولا تتذكر إلا محاسنه، وضع خيباته تحت قدميك لتنهض وتصعد

وتتعلم، فلن تصل إلى القمة مهما فعلت، فلكل قمة قمة أعلى منها، فاجعل طموحك دائماً في زيادة.

كلماتها تنبع من القلب وكأنها طبيبة نفسية تزرع الأمل والتفاؤل في نفس كل من يجاورها، وكذلك أبي ذلك الرجل المهيب في نظراته، المحبوب لكل من يعرفه، هل تتخيل معي بأن أهل قريتي والمدينة أجمع كانوا يتمنون ترشيحه ليكون عمدة القرية أو عضواً ليمثل المدينة بمجلس النواب.

مرت الأيام والليالي والشهور والسنين وانتهت المرحلة الابتدائية، وافترقت أنا وصديقي عمير؛ فكلا منا ذهب إلى مدرسة إعدادية مختلفة عن الآخر وفي إجازة نهاية العام، أقيم حفل لتكريم بعض الأساتذة الخارجين على المعاش بإحدى المدارس، فدعاني والدي لأذهب معه وأقدم أي فقرة في الحفل، فقد كان يفتخر بي أمام زملاءه في كل مكان، وقد كان، قدمت فقرة افتتاحية بدعاء للشيخ (محمد البراك) وإذ بإحدى المعلمات تأتي من فناء المدرسة مسرعة تحسبهم أنهم يشغلون أحد الشرائط التسجيلية، وإذ بها ترى طفل يمسك بالميكرفون ويملأ المدرسة بصوته الرنان بدعاء جميل وكأنه القارئ محمد البراك بنفسه، نظرت إليّ المعلمة، لم تتحرك من مكانها حتى انتهيت من الدعاء كاملاً، أتذكر بأنها وقفت قرابة العشر دقائق لم تحرك ساكناً وهي تستمتع بصوتي، وبعد أن انتهيت اقتربت مني وبصوت حنون كأم تطبطب على ولدها وتقول لي:

- أحسنت، أريدك أن تستمر، كم عمرك وماذا تدرس؟

وإذ بوالدي يأتي إلينا ليخبرها من أكون وأني سألتحق بالإعدادية هذا العام، رأيت في عينيها وكأنها حصلت على كنز، أجل فرحت وقالت:

- أنا أدرس اللغة العربية للصف الثالث الإعدادي، ولكني سأتقدم بطلب لمدير المدرسة بتدريس الفصل الذي ستكون فيه.

فرحت بكلماتها كثيراً وابتسمت بعدما تحدثنا بعض الشيء، وأخذني والدي بعد يوم طويل وذهبنا إلى المنزل،

والدي:

- يا أم رضا! يا حاجة أين أنتِ؟

أمي:

- موجودة هنا يا حاج.

والدي:

- تعالى، أريد أن أخبرك ماذا حدث اليوم معنا.

وأخذ والدي يحكي لأمي اليوم بأكمله بكل فخر وعزة وفرح وكأني انتصرت له في حرب من الحروب العالمية، شعرت حينها بإحساس الاجتهاد، نعم يجب أن أجتهد حتى أرى الفرح والسعادة في عيون أبي وأمي كما أراها الآن دائماً، ومرت الأيام وأنا أستعد لملاقاة التحدي الجديد لأرى هذه النظرات في عين أبي من جديد.

الفصل الثالث

أتذكر ليلة أول يوم لبدء الدراسة للعام الجديد، العام الأول من المرحلة الإعدادية، هل ستصدقون أنني لم أذق طعم النوم في هذه الليلة بين خوفٍ وفرح، بين تحدٍ وصمود وفزع، تضارب في المشاعر لا أعرف كيف أصف ما أشعر به! أعد الدقائق وأفكر وأنظر إلى ملابسي الجديدة التي سأذهب بها إلى المدرسة وإلى حقيبتي وأقلامي وهل يا ترى سأكون الأجمل؟ وبينما أنا أفكر في كل هذه الأمور غلب عليّ النوم والنعاس وذهبت في نومٍ عميق جداً، رأيت نفسي في فناء المدرسة ألهو وألعب مع أصدقائي ومنهم عمير وأصدقاء جُدد لم أشاهدهم قبل ذلك، نركض ونتبادل الضحكات والألعاب، حتى شعرت بيدٍ أعلمها جيداً وصوت لطالما أشعر بحنوه يقول لي:

- يا معاذ، استيقظ يا بني لقد حان وقت الاستيقاظ للذهاب للدراسة.

أجل هي أمي، استيقظت على صوتها وهي تبتسم وتتغنى لي بما أحب أن أسمعه منذ صغري، أحضرت لي الفطور الصعيدي الذي يتمناه الكثير والكثير «عسل طبيعي، فطير مشلتت، خيار طازج، ولبن بقري» ألبستني وراجعت معي حقيبتي، وقبلت رأسي، وأخذني أبي في طريقه للمدرسة كما يفعل الكثير من الآباء والأمهات وأخذ يحدثني،

أبي:

- معاذ، هذا أول يوم لك في مرحلتك الجديدة، أريد أن أخبرك ببعض النصائح والكلمات وأريدك أن تضعها حلقة في أذنك!

أنا:

- قل يا أبي، فأنا أسمعك.

أبي:

- أريدك أن تحب الجميع وأن تجبر الجميع أن يحبك.

أنا:

- يا أبي، أن أحب الجميع هذا بيدي ولكن كيف أجبر الجميع أن يحبونني؟

أبي:

- يا معاذ سأقول لك كلمة قالها لي جدك في يوم من الأيام وعلمها له والده، من يحترم يُحترم، فاجعل يا بني الاحترام والتقدير للجميع كي يحترمك ويقدرك الجميع.

أنا:

- أكمل يا أبي، كلماتك جميلة.

أبي:

- يا معاذ، فلتنسى ماضيك بكل ما فيه ولا تتذكر منه إلا كل خير، وما حدث لك فيه من شر تعلم منه وخذ منه العبرة فقط، ولا تجعله يؤثر فيما هو آت، فما مضى مات، وما هو آتٍ آت، فعش يومك كأنه يومك الأخير، وفكر في مستقبلك بحسن الظن دائماً وقل دائماً أن الخير قادم وغداً دائماً أجمل بمشيئة الله، ولا تنسى أن تزرع الخير دائماً لتحصد الخير دائماً، وكن كحامل المسك الذي يترك الروائح والآثار الطيبة في نفوس البشر.

كلمات أبي كانت كالثلج الذي يبرد القلب والنفس وتطيب الخاطر، كانت كالجواهر الثمينة التي يجب أن توضع في صندوق من الألماس وقصر من اللؤلؤ والمرجان والياقوت، دخلت المدرسة وكلي نشاط وأمل وها قد بدأت مرحلة جديدة بتحدٍ جديد وأصدقاء جدد، بعضاً منهم كان معي في المرحلة

الابتدائية وانتقل معي لنفس المرحلة، والبعض الآخر انتقل إلى مدارس أخرى ومنهم عمير أعز أصدقائي، انتهى طابور الصباح ودخلنا الفصول الدراسية وإذ بي أنظر فأجد مدرستي الجميلة التي استمعت لفقرة دعائي، أتتذكرونها! أجل هي

المعلمة سلمى:

- صباح الخير يا أبنائي.

جميعنا في نفس الوقت:

- صباح الخير يا أستاذة.

نظرت إليّ نظرة وقالت لي: - كيف حالك يا معاذ! أريد أن أسمعك شيء في نهاية الحصة.

قلت لها:

- أنا بخير يا أستاذة.

قالت:

- أعرفكم بنفسي، أنا أدعى أستاذة سلمى، مدرسة اللغة العربية والتربية الدينية الإسلامية الخاصة بكم، في بداية الأمر أود أن أرحب بكم في بداية العام الدراسي الجديد كل عام وأنتم بخير، وأود أن أعرفكم على صديقكم معاذ موهبة بمعنى الكلمة، صاحب صوت رنان.

وأخذت تتحدث معنا حتى قالت لي:

- معاذ!

انتبهت وقلت:

- نعم يا أستاذة سلمى؟

قالت:

- هل تستطيع أن تسمعنا ولو جزء بسيط من أي نشيد وطني تحفظه؟

قلت لها في خجل:

- نعم أستطيع.

وأخذت أنشد وأنشد حتى صمت الجميع لسماع صوتي، وكان يمر على الفصول مدير مدرستنا فسمع صوتي وأعجب بي وانتظر حتى انتهيت وقال لي:

- سوف أحتاجك معنا هذا العام في فريق الموسيقى الخاص بالمدرسة؛ لتشترك في النشاطات والمسابقات الخارجية الخاصة بالمدرسة.

فابتسمت وقلت في نفسي:

- ها أنا قد وضعت أول بصمة جميلة في نفوس من حولي كما قال لي أبي، وأخذ الجميع يتقرب مني لحظة تلو الأخرى.

خرجنا إلى فترة الاستراحة بين الحصص الدراسية أو كما ندعوها «الفسحة» وأخذنا نلعب، ما هذا! لقد رأيت هذا الموقف قبل هذا الوقت! أجل رأيته في منامي ليلة أمس وكأنه مشهد يعاد من فيلم سينمائي، ولكن يوجد اختلاف بسيط، أجل هو عمير صديقي! لا أجده أمامي ولكن باقي التفاصيل رأيتها فعلاً كمشهد يعاد أمامي!

ذهبت إلى المنزل في نهاية اليوم الدراسي وإذ بي أجد والدتي تنتظرني أمام الباب وكأني عائد من سفر بعد طول غياب، أخذت أركض حتى ارتميت في حضنها وأخذت تقبلني باشتياق، لا أبالغ لكم في حديثي، فما أروعها وما أجملها من أم! أخذت بيدي ودخلنا المنزل، غيرت ملابسي وأخذت حمام دافئ

وخرجت، وجدتها أعدت لي الطعام وما أجمل الطعام من يدها، جلسنا نأكل جميعاً وهي تنظر إليّ وأنا أتناول الطعام، فقد كنت جوعان وهي تبتسم، بعد انتهائي من الأكل كنت دائماً أعتاد أنا وأختي الزهراء أن نساعد أمي في وضع وحمل الطعام من وإلى الطاولة «الطبلية الصعيدية» والمطبخ، فلقد تعلمنا مساعدتها في كل أمور المنزل وكذلك إخوتي ووالدي، ما كنا نفرق بين رجل وامرأة، هكذا تعلمنا كما عملنا رسول الله عندما كان يساعد زوجاته في أعمال المنزل، حملنا الطعام وأخذنا قسطاً من الراحة في وقت القيلولة واستيقظنا على صلاة العصر، صلينا جماعة وجلست أكتب الواجب الأول لي في المرحلة الجديدة، جلست بجواري أمي وقالت لي:

- رأيت في عينيك يا معاذ كلمات تخبئها، هل حدث معك شيء اليوم في المدرسة شتت انتباهك هكذا؟

قلت لها:

- لا يا أمي لما تقولي هذا؟

قالت:

- رأيت ذلك في عينيك وشعرت بك بقلبي، ماذا حدث معك يا ولدي؟

قلت لها:

- أمي، رأيت في منامي البارحة بعد أن غلبني النعاس كذا وكذا أقسم لكِ يا أمي أنني اليوم رأيت كل هذا وكأنه مشهد يعاد من تلفاز!

قالت:

- أهذا الذي يشتت انتباهك يا معاذ؟ يا ولدي لا تحزن ولا تفكر هذه هبة ومنة ومنحة من الله، فلا تفكر بها كثيراً، هذه تسمى الشفافية أو كما ندعوها بالعامية «نجمك خفيف» أوقات تحلم وترى أشياء

فتتحقق وتراها بالحقيقة، فلا تتعجب من شيء كهذا واحمد الله عليها وادعو الله أن يكفيك شرها وأن يريك خيرها.

ومنذ هذه اللحظة وشعرت بشيء غريب تريد أمي أن تخبرني إياه وهو ألا أخاف مما أرى في منامي إذا تحقق في يوم من الأيام سواء أكان خيراً أو كان شراً، فإن كان خيراً أحمد الله وإن كان شراً أستعيذ بالله منه وأستعين بالله عليه.

تمر الأيام والليالي وأتعرف على أصدقاء جدد وأشارك في النشاطات المتعددة والألعاب المختلفة، اكتسبت خبرات كثيرة وأنا في سن مبكر وعرفت وتعلمت كيف أتحكم في طبقات صوتي، وسجلت أول أنشودة لي وأنا لم أتخط الصف الثاني الإعدادي، كنت أركب سيارة الأجرة في بعض الأحيان مع إخوتي أو أقاربي وأجد أشخاص لا أعرفهم يضعونها نغمة لهواتفهم المحمولة، لا أعرف كيف أصف لكم شعوري آن ذاك، فكأني أملك الدنيا بما فيها.

مرت الأيام حتى حدثت معي بعض الأحداث الغريبة بعض الشيء؛ فلقد رأيت بعض الرؤى المتتالية في فترات قصيرة وجميعها قد تحقق، أولها كان لي أحد أقاربي مسافراً في إحدى الدول العربية وكان له فترة في السفر لم يأت إلى قريتنا ولم يأت إلى مصر قرابة السبعة أعوام، فرأيت أهل قريتنا يجتمعون أمام المسجد الكبير بقريتنا وعلى وجوههم علامات الحزن والألم، وإذ بسيارة إسعاف تقف في وسط الشارع والكل يلتف حولها ليفتحوا الباب بالقوة ليخرجوا صندوق به جثمان لمتوفى ومكتوب عليه اسم هذا الشاب، نعم ابن عمتي! أتذكر اسمه جيداً ورأيت والدته وإخوته والناس يحتضنونهم وهم يبكون بشدة، وسمعت رجلاً يقول لا حول ولا قوة إلا بالله وقع مغشياً عليه من الطابق الرابع عشر (يقصد ابن عمتي) وفجأة استيقظت من نومي

قصصت منامي على والدتي، وقالت لي أمي لا تقلق فهي أضغاث أحلام ومن المحتمل أن يكون في الحقيقة فرح وليس حزناً، ولم تمر الساعات حتى جاء إلينا خبر وفاته! أجل اقسم لكم كما أخبركم جاءنا خبر وفاة ابن عمتي وأن جثمانه سوف يحضر بعد يوم من هذا الوقت من الدولة التي هو فيها، ضربت أمي بيدها على صدرها من هول الصدمة وشدة الخبر، نظرت إليّ أمي وكأنها تخبرني وتقول لي نظراتها، هذه رؤيتك يا ولدي ولم تكن مجرد أضغاث أحلام!

عاشت القرية بأكملها هذه الليلة في حزن عميق وكأن كل بيت به عزاء وجنازة وفقيد حتى صباح اليوم التالي، ذهبنا جميعاً إلى المسجد بانتظار وصول الجثمان للصلاة عليه ودفنه، كانت أمي قد قصت على إخوتي وأبي ما رأيت في منامي ليلة أمس وحدث ما لم يكن يتوقعه أحد، كل ما قصصته لأمي عن منامي حدث وكأنه مشهد يعاد.، الناس تتشاجر وتتسابق لفتح باب سيارة الإسعاف وكل ما قصصته سابقاً قد حدث! وأخي حمد ينظر إليّ في دهشة والكل بلا استثناء يبكي.

مر اليوم علينا وكأنه عام وأعوام من الحزن والأسى، وعدنا إلى المنزل وعادت أمي وأختي الزهراء في نهاية اليوم من العزاء وقص أخي لأمي ما حدث، أخذتني أمي من يدي وجلست بجواري تحدثني:

- يا معاذ.، لا تخف يا ولدي هذا قضاء الله وقدره واختارك الله ليبصرك بما سيحدث ليس ليعلمك الغيب، ولكن ليعلمك بأنك قريب منه فحافظ على ذلك بالتقرب من الله ولا تحكي لأحد ما أنت فيه.

مرت علينا هذه الأيام وكانت أيام ثقال، وفي صعيدنا لا يمر الحزن بسهولة وخصوصاً وإن كان المتوفى مغترباً لفترة وعاد في صندوقاً لقبره!

تميزت لله الحمد في كثير من النشاطات في دراستي واجتهدت في حفظ القرآن وتقربت من الصحبة الصالحة، أربع اخوة وما أجملهم من أخوة، نعم التربية والأصل ونعم الأب والأم، تقربت منهم الأكبر (صافي) كان في عمري ولكن في مدرسة أخرى وأوسطهم (معتز) أصغر مني بعامين ويليه (مازن) أصغر مني بثلاثة أعوام أو يزيدوا عاماً ويصغرهم (أحمد) كان صغيراً جداً، اجتمعنا على حب الله ورسوله وحفظ القرآن، فهم فعلاً نعم الصحبة قريبين جداً من بعضنا البعض، أقول لوالدتهم:

- يا أم صافي.

قالت لي:

- قل لي يا أمي.

فقلت لها، يا أمي وشعرت فعلاً بالكلمة بداخلي، فلم تفرقني لحظة عنهم في أي شيء، نلهو ونلعب ونفعل كل شيء حتى ظن الناس جميعاً أننا اخوة ولولا أننا في قرية والكل يعرف بعضه البعض لصدق الجميع أننا من بطن واحد ومن أم وأب واحد، نتسابق من منا يحفظ القرآن قبل الآخر، ومن منا يفعل الخير أكثر، تجمعنا المحبة والأخوة أكثر من الإخوة ذاتهم.

في يوم من الأيام، كنت أجلس أمام المنزل وهم معي جميعاً نضحك، وإذ بي أنزف من فمي وأتقيأ، ذهبوا بي للطبيب، فحوصات طبية أثبتت التهاب شديد في المعدة وارتجاع في المريء ومن المحتمل أن يكون ورم سرطاني على جدار المعدة أو قرحة شديدة بالمعدة، سمعوا الخبر والكلمة وكأن واحداً منهم من مرض، عاملوني كأنني منهم طوال فترة العلاج أذهب للطبيب آخذ علاجي وأعود لمنزلي أجد صافي وإخوته ينتظروني بالمنزل ليأخذوني عندهم، قضيت أيام وليالي طويلة معهم حتى أعانني الله وشفيت مما أعاني وكان الأمر أبسط مما توقعنا ومما قال الأطباء، ظلت الأوضاع كما هي وبقينا أصدقاء وإخوة حتى انتهت المرحلة الإعدادية بحلوها ومرها، وجاءت فترة

امتحانات الشهادة الإعدادية، الكل ينتظر بين خوف وفزع وأنا كما عوداني أبي وأمي أن أتعامل مع الأمر وكأنه طبيعي أجتهد وعلى الله التوفيق، حتى جاءت اللحظة الأخيرة، لحظة ظهور النتيجة ووجدت أمي وأختي الزهراء يملأون المنزل وزوجة أخي رضا بالزغاريد والأفراح ويوزعون الحلوى على أطفال الشارع، فعلاً أنا آخر العنقود سكر معقود، أنا فرحتهم وأقل شيء أفعله يدخل الفرحة عليهم جميعاً.

جاء ابي من الخارج وإذ به يحتضني ويتصل بشيخ مقرئ:

- يا شيخ أحمد جهز نفسك الليلة سوف تأتي لنقيم حفل قراءة القرآن الكريم بمناسبة نجاح معاذ ولدي وقرة عيني.

أقسم لكم رأيت فرحة في عين أبي وأهلي وكأني قد حصلت على شهادة الدكتوراه، حضر الشيخ أحمد قارئ القرية صاحب الصوت الذي لطالما يجتمع على جماله أهل القرية جميعاً، يتوافد الجميع بالتبريكات لوالدي وإخوتي وكل من يقول لوالدي مبروك يا أبو رضا، أبي يقول له لا تبارك لي بارك لصاحب الليلة ويشير إلي في فخر وعزة وفرح نظرات والدي إليٍ لا تزيدني إلا إصرار على شيء معين وهو تحقيق هدف ما هو يريدني أن أحققه مستقبلاً شئت أم أبيت لكن لابد أن أجتهد للوصول إليه في يوم من الأيام، لا أعلم ما ينتظرني مستقبلاً ولكن أتذكر كلماته هو وأمي، رب الخير لا يأتي إلا بالخير، فيجب أن أجتهد وأترك التوفيق على رب العباد.

بدأت الليلة القرآنية الجميلة التي كانت مليئة بالروح الجميلة بين الجميع، ومع كل آية يقرأها الشيخ أحمد يهلل ويكبر كل من حضر، فتشعر وكأن البيت يهتز بين تهليل وتكبير يا الله ما هذا الجمال؟ وما هذه العظمة؟ شعرت بالفرحة بداخلي لأني سبباً في كل ما يحدث في هذه اللحظات، انتهت الليلة بسلام والكل ذهب إلى بيته، بعدها جلست أنا وأصدقائي صافي وإخوته وعمير اتتذكرونه! جاء إليّ في هذه الليلة وعينيه يملأهما الفرح واجتمعنا

جميعاً بين ابتسامات وضحكات وجلسنا بضع دقائق وانصرف كلاً منهم على منزله وكنت في غاية السعادة مما سببته من فرح للجميع في هذه الليلة، دخلت على أبي بعدما طرقت الباب وسمح لي بالدخول:

- أبي أريد أن أشكرك على كل ما فعلته لي.

أبي:

- لا يا ولدي أنا من يريد أن يشكرك على ما فعلته من اجتهاد طوال العام والأعوام الماضية، وهذا أقل شيء أقدمه لك؛ فأنت لم تسعدني أنا وأسرتك فقط بل أسعدتني أنا وعائلتك بأكملها يا معاذ، هل رأيت الفرحة في أعين الجميع وكل من حضر الليلة! هذه نظرات الفرحة يا ولدي والتي طالما ستتكرر كلما تقدمت وحققت ما أتمنى أن أراك عليه، أريد أن أراك في يوم من الأيام طبيباً أو تعلق على أكتافك النجوم.

قلت له:

- فهمت قصدك بالطبيب ولكن لم أفهم كيف أعلق على أكتافي النجوم؟

قال لي:

- أريد أن أراك ضابطاً للشرطة لتحمي الشعب، أو بالقوات المسلحة لتحمي حدود الوطن، فركز على هدفك وسوف تصل ودائماً تذكر يا ولدي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان»

قلت له:

- صلى الله عليه وسلم، حاضر يا أبي أعدك أنني سأجتهد على قدر ما أستطيع وسأرفع رأسك بمشيئة الله في كل وقت وحين.

قبل رأسي وقال لي:

- اذهب إلي فراشك لأني أريدك أن تذهب معي غداً في مكان ما لقضاء أمر.

قلت له:

- حاضر يا أبي تصبح على خير.

قال:

- وأنت من أهل الخير، لا تنسى الوضوء والركعتين قبل النوم.

قلت له:

- حاضر يا أبي.

تركته وقبلت رأسه هو وأمي وخرجت فلم أكن أبداً ولا أنهي يومي إلا بتقبيل رأس ويد أبي وأمي.

تمر بنا مراحل وأيام وليالي أعمارنا وفي بعض الأحيان لا نلقي لها بالاً ولا نتعلم مما قد نمر به، فهنيئاً لمن أخذ العبرة من كل يوم مضى، فوضع به الأساس لما هو آت من عمره وما بقى، والحقيقة أن كل إنسان منا يمر بمواقف جديدة وتحديات وشخصيات جديدة يتبقى معنا من يبقى ويرحل عنا من يرحل، فلا يدوم شيء ولا يبقى على حاله شيء
هكذا علمني أبي.، ما بين غمضة عين وانتباهتها يبدل الله من حالٍ إلى حال.

الفصل الرابع

كانت لي جدة هي أم أبي، أتذكر وجهها الدائري الجميل الذي كان يتجمل بكبر سنه وتجاعيد الوجه الذي أثر عليه كبر سنها، عينيها الزرقاء التي كنت أتغزل في جمالها في كل وقت وحين، كانت تتخطى الثمانين عاماً، خفيفة الدم، ضحوكة دائماً، لا تحب الحزن أبداً، كانت دائماً تجلس معي وتحكي لي قصص بطولات جدي، فكان جدي كبيراً للعائلة والجلسات العرفية بقريتنا وكان محبوباً، تقول لي:

- أتعرف يا معاذ، جدك يوسف كان طويل الجسد عريض المنكبين، يهابه كل من يراه ويحبه كل من ينظر إليه، ويسمع له كل من يجلس معه، كان محبوباً وسط الجميع، سأحكي لك قصة حدثت معه في يوم من الأيام،

قلت لها في تشوق:

- أتمنى ذلك هل كان يشبه أبي أم أحد أعمامي؟

قالت لي:

- في الشكل والأخلاق والأدب يشبه أباك بالمثل، ولكن جدك يوسف في نظري لم يشبهه أحد.

قلت لها أداعبها:

- الحب يصنع أكثر من ذلك.

وضحكت بصوتٍ عال، قالت لي:

- جدك كان سيد الرجال.

قلت لها:

- لا، أكملي.

قالت لي:

- جدك يوسف في أحد الليالي كان يسير آتيا من أرضه الزراعية وخرج عليه ثلاثة رجال وكما أخبرتك كان جدك قوياً جداً فحاولوا أن يضربوه ليأخذوا ما لديه حتى استطاع أن يكشف وجه أحدهم فأوقعوا بجدك على الأرض حتى ظنوا أنه قد مات واطمئنوا ولكن شاء الله أنه لم يمت ويعيش، بعد مرور أيام وبينما كان جدك بين الحياة والموت استفاق وهو يعرف أحدهم انتهت التحقيقات ولم يخبر أحداً باسم أي شخص ممن قاموا بضربه وسرقته إلا أنا وأنا اتحايل عليه أن يخبر الشرطة بفعلتهم وهو يقول لي لا لن أخبر أحداً، سلم الله الأمر وأنا الآن على قيد الحياة، وبعد مرور أكثر من شهر أرسل لهذا الرجل وعندما جاء اليه سأله لماذا فعل هذا، أقسم له الرجل أنهم لم يكونوا على علم بأنه يوسف وأنهم فقط كانوا بحاجة إلى المال، دخل جدك إلى غرفته وأتى بمبلغ وأعطاه للرجل وعاهده بأن يتوب توبة نصوح عن مثل هذه الأفعال منذ هذه اللحظة وقد كان.، منذ ذلك الوقت تاب الرجل ومن كان معه عن هذه الأفعال توبة نصوحة بسبب جدك ومات جدك ومات معه سرهم وما فعلوه.

أخذت جدتي تقص عليّ مثل هذه القصص الكثير والكثير، فحقاً ونعم الجد ونعم العائلة التي أنتمي إليها، جدتي كانت كالمؤرخ التي تعرف كل شيء عن العائلة منذ نشأتها، فدائماً أحب أن أستمع إلى كلماتها المفعمة بالتشويق وكانت معظم الوقت تجلس عندنا في المنزل ونقيم الليل معاً ونصحوا لنصلي الفجر معاً.

مرت الليالي والأيام وجاءت اللحظة الحاسمة واليوم الذي يترقبه الجميع، يوم بدء الدراسة في الثانوية العامة، اليوم الأول دخلنا إلى المدرسة وكانت مدرسة مشتركة بين الاولاد والفتيات، وجوه كثيرة وأصدقاء جدد، أنظر إلى هذا وذاك وأتصفح الوجوه وأبتسم في وجه الجميع؛ لأضع الطابع الأول الخاص بي في كل من أنظر إليه وإذ بي أنظر من بعيد وأنا لا أصدق نفسي، من هذا الشخص الذي أراه من بعيد يأتي إلي مسرعاً؟ يا إلهي أجل هو عمير! صديقي وحبيبي صديق الطفولة وصديق أول مرحلة دراسية في حياتي، فقط احتضنته وفرحت كثيراً ورسمت الابتسامة على وجهي لدقائق طويلة، ووقفنا طويلاً واجتمع حولنا كل من يعرفنا في المراحل السابقة من كان معنا أو افترق عنا واجتمع بنا من جديد حتى سمعنا جرس طابور الصباح،

اجتمعنا جميعاً وأخذ المعلمون ينادون على أسماء الطلاب الجدد والطلاب من المراحل التي تسبقنا لكي نصطف في أماكننا وبدأ مدير المدرسة يلقي علينا أول كلمة نسمعها في أول يوم دراسي، كانت كلمة ليست من مدير مدرسة لتلاميذ مدرسته ولكن بمثابة كلمات تخرج من فم أب لأبنائه وأخذ ينصح فينا وينبهنا على أن هذه المرحلة ليست كالمراحل السابقة وأيضاً يبث فينا روح التحدي والاجتهاد، كنت أشعر وكأن أبي الذي يتحدث؛ فكلماته تشبهه كثيراً.

انتهى طابور الصباح وأخذ المعلمون يعرفوننا أماكن الفصول الدراسية، وأخيراً اجتمعنا أنا وصديقي عمير في فصل واحد مرة أخرى ومعنا بعضاً ممن نعرفهم وبعض الأصدقاء الجدد من قرى وأيضاً كانوا في مدارس مختلفة في المرحلة الإعدادية السابقة، تعرفت على بعض من الأصدقاء الجدد بجوار عمير منهم، (عبدالحميد) ولد جميل من قرية أخرى وعائلته ما شاء الله مفعمة بالمناصب الكبرى في كثير من الأماكن، فكان الجميع يتقرب منه لذلك الشيء.

(كامل) صاحب الوجه الطيب الودود المليء بالنمش الذي لطالما يحبه الجميع، لطيب قلبه وجمال ضحكته وأيضاً كان من قرية أخرى.

(بشوي) كنت أدعوه بفاكهة المدرسة، فكان مميز بقصِر قامته ولديه ضحكة مميزة جداً، فكانت ضحكته مميزة تلفت انتباه الجميع، فكانت متقطعة وهو يضحك، وسيم جداً ويغار منه الجميع لأنهم يحبونه بداية من المدرسين، حتى فتيات المدرسة جميعاً تحب الحديث معه.

(مايكل) الشاب المصري الصعيدي الذي تراه وكأنه ولد في الغرب من شدة جماله ولكنه كان في بعض الأوقات يستثقلونه بعض الشيء ليس لأنه ثقيل الدم، لا ولكنه صاحب كاريزما خاصة به كانت تعجبني كثيراً.

(طه) الفتى الشجاع الذي يضع نفسه أمام القطار بدلاً منك في أي شيء، فهو نعم الأخ والصديق، والكثير فلا أريد أن أنسى أحداً، فكان لدي الكثير من المقربين ولكن هؤلاء من كانوا أقرب إليّ من دونهم في نفس عمري وفي الصف الأول الثانوي،

(تميم) أكبر مني في المدرسة بعام، أقسم لكم ما رأيت أحداً يكرهه نهائياً، فكان الكل يحبه ويحب مجالسته والحديث معه.

(سالم) قارئ الإذاعة المدرسية للقرآن الكريم وفاكهة المدرسة وأيضاً كان يكبرني.

مر اليوم الأول والذي يليه وحتى الأسبوع الأول في التعارف على بعضنا البعض وعلى المدرسين والمواد الدراسية الجديدة وأيضاً اشتركت معهم في النشاطات المدرسية والإذاعة المدرسية وفريق الإلقاء الشعري، وسرعان ما لفتت أنظار الجميع، وبعد مرور شهرين كنت قد اشتركت في مسابقة للإلقاء الشعري وحصلت على المركز الأول على مستوى المركز وصعدت

للتسابق على مستوى المحافظة وأنا لا أعرف أنني قد صعدت، وإذ بي ونحن نجلس في الفسحة المدرسية وجدت صديقي طه يركض إليّ مسرعاً:

- معاذ، أغثني فصديقنا محمود يتشاجر مع بعض الطلاب من قرية أخرى!

ذهبنا مسرعين وكانت مشاجرة كبيرة جداً وكانت أول عقوبة دراسية في حياتي وهي فصل من الدراسة لمدة أسبوع كامل مع إحضار ولي الأمر، خرجت من المدرسة أتقدم خطوة وأعود بقدمي إلى الخلف خطوتين، لا أعرف كيف سأخبر والدي بما حدث وكيف سأحضره إلى المدرسة وسط الجميع! ذهبت إلى المنزل ولم أستطع أن آكل في هذا اليوم.

أمي:

- معاذ، ماذا بك! تعال لتأكل، لماذا لم تتحدث معي ولمَ لم تطلب الطعام كعادتك! هل تشكو من أي شيء يا ولدي؟

قلت لها:

- أمي، أريد أن أخبرك بشيء حدث معي اليوم.

وبالفعل قصصت على أمي ما حدث بالتفصيل وقلت لها لا أعرف كيف سأخبر أبي بما حدث ويجب أن يحضر معي للمدرسة بعد انتهاء العقوبة، ليتعهد أمام مدير المدرسة ألا يتكرر ما حدث مرة أخرى!

أمي:

- لماذا فعلت هذا يا معاذ! هل يرضيك أن يذهب والدك معتذراً لأحد بسبب سوء فعلتك بدلاً من أن يذهب مفتخراً بتكريمك؟

أخذت أمي توبخني ولكن بكلمات ينتابها عتاب الأم لولدها، فعتاب عن عتاب يختلف، فكم من عتاب زاد من سوء فعل صاحبه وكم من عتاب حول عمل صاحبه من السوء للخير، وفي نهاية حديثها معي قالت لي:

- لا عليك سأحدث أنا والدك ولكن يجب أن تعتذر له وتتحمل أي كلمة يقولها لك، فإن عتابه سيكون حباً لك حتى لا تتكرر فعلتك.

قلت لها:

- نعم سأتحمل، أنا مخطئ ومن يخطئ يتحمل نتيجة خطأه.

قالت لي:

- هيا لتأكل ودع الأمر لي.

فأكلنا وجلست لأنتظر أبي، وبعد ساعة عاد أبي من عمله وغير ملابسه واستراح قليلاً وجلست أمي معه وحدثته بما حدث، ونادى عليّ أبي وكنت أنتظر منه التوبيخ ولكن رأيت منه كل نصح وكلام هين ولين ولكن نزل على قلبي أشد من كل توبيخ وعاهدت نفسي ألا أضعه في مثل هذه المواقف أبداً، قال لي بعدما انتهى من كلماته:

- جهز نفسك غداً سأذهب معك المدرسة لنعتذر عما فعلت ونحاول تقليل عقوبتك حتى لثلاثة أيام.

وبالفعل ذهبت بعد انتهاء يومي والجلوس مع جدتي الجميلة والحديث والضحك قليلاً والصلاة وذهبت إلى فراش نومي، لا أكذب عليكم فهذه الليلة لم أذق طعم النوم هل تشعرون بما أشعر به، فأنا أتخيل الآن منظر أبي وهو يقف أمام مدير المدرسة حتى وإن كان صديقه ولكن كيف لي أن أجعله في مثل هذا الموقف بدلاً من موقف الفخر والتكريم لي كما قالت لي أمي! قرآن الفجر قد بدأ جاءت لي جدتي،

جدتي:

- معاذ يا فلذة كبدي، استيقظ يا بني.

استدرت وقلت لها:

- أنا هنا يا جدتي، أنا يقظ لا تقلقي.

نظرت إليّ وقالت ما هذا! ألم تنم الليلة يا معاذ! ماذا بك يا ولدي؟
قصصت لها ما حدث، قالت لي:

- لا تقلق، قل اللهم أنني وكلتك أمري وأنت خير وكيل، فدبر لي فإني لا أحسن التدبير، وهيا بنا لتصلي بي الفجر جماعة.

توضأنا وقالت لي:

- أريد أن تقرأ في صلاتك آيات من سورة يس يا معاذ بداية من، «إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون»

قلت لها:

- حاضر يا جدتي.

وبدأت الصلاة وبعد التسليم ختمنا الصلاة وجلست معي تحدثني بكلمات لن أنساها، قالت لي:

- يا معاذ، أمك حدثتني عن الرؤى التي تراها وتتحقق، فحافظ عليها يا معاذ ولا تجعل هذه النعمة تذهب بعيداً عنك أبداً، وتقرب من الله ولا تبغض أحداً واجعل الكل يحبك واجعل حب الله أحب إليك من نفسك ومن والديك وأهلك جميعاً، حافظ يا معاذ على نعم الله عليك في صحبة صالحة، في صحة يعطيها الله لك فلا تهدرها، في زوجة تطيع الله فيها، في نجاح ترفع به من شأنك وشأن أهلك، واجعل الاستغفار والدعاء والصلاة على رسول الله دائماً لسانك رطباً بهم في كل وقت.

وأخذت جدتي تحدثني بكلمات كهذه حتى صبح الصبح وصوت العصافير والطيور تغرد، تجهزت أنا وأبي والحركة بدأت تظهر في الشوارع وإخوتي استيقظوا وتناولنا جميعاً وجبة الإفطار وكلا منا تحرك إلى مقصده، ذهبت أنا وأبي إلى المدرسة ودخلنا على مكتب مدير المدرسة مباشرة، فلم أحضر طابور الصباح في هذا اليوم، فأنا ما زلت في فترة العقوبة، بعد انتهاء طابور

الصباح تحرك كل الطلبة والمعلمون إلى فصول الدراسة ودخل ناظر المدرسة ومدير المدرسة وبعضاً من أولياء الأمور والطلبة الموقع عليهم العقوبة إلى مكتب مدير المدرسة، وفي وصلة من الكلام الذي لم أكن أريد أن أسمعه في حضور أبي أو أمام أي شخص قال مدير المدرسة:

- لن تخفف العقوبة على أي طالب مهما حدث، تفضلوا بالتوقيع على إقرار بعدم تكرار الأمر.

وقعنا ووقع أبي وأولياء الأمور وإذ بمديرة الإدارة التعليمية تدخل المكتب لتكمل ما قد بدأ، فلقد كانت قبل ترقية منصبها مديرة لمدرستي، أخذت توبخ فينا وتقول لنا:

- أنتم لا تعرفون أين أنتم ولا تعرفون قيمة هذه المدرسة، فأنتم في مدرسة مصنفة على مستوى الجمهورية في كل شيء، فلو تكرر هذا الخطأ فستكون العقوبة فصل من الدراسة لمدة عام كامل حتى تكونوا عبرة لمن لا يعتبر.

بعد انتهاء هذه الوصلة قالت:

- خذوا العبرة من صديق لكم اسمه معاذ بالصف الأول الثانوي حصل على المركز الأول على مستوى المركز في الإلقاء الشعري وها هو سينافس على مستوى المحافظة والكل يشهد على مستواه وأخبروني أنه سيصعد على مستوى الجمهورية، خذوه قدوة لكم.

سمعت هذه الكلمات وأردت أن تنشق الأرض وتبتلعني في هذه اللحظة، أخبرها مدير المدرسة بأني أنا من تقصده بكلماتها، قالت:

- مبروك يا معاذ، وإن كنت معهم في المشاجرة والعقوبة نتيجة لاجتهادك سوف أمحو عنك هذه العقوبة وتستطيع العودة للدراسة من الغد للتمرين مع مدرس اللغة العربية لتستعد للمسابقة، أريدك أن تركز جيداً ودعك من كل هذه الأمور فأنت

صاحب موهبة متميزة وفريدة، أريدك أن ترفع رأسك ورأس المدرسة ونريد أن نفتخر بك.

سمعت كلماتها وأخذت عهداً بيني وبين نفسي أن أجتهد وأن أركز على مستقبلي في كل شيء وأن أفعل كل ما بوسعي وعلى الله التوفيق، ابتسمت وعاهدتها بمركز متقدم بمشيئة الله وخرجت أنا وأبي وأخذ أبي يبارك لي في الطريق ويقول لي:

- إنسى ما حدث اليوم ومنذ هذه اللحظة يا معاذ نبدأ صفحة جديدة، دعك من صحبة السوء يا معاذ واجعل نفسك مع الأخيار تأخذ منهم الخير كله.

الفصل الخامس

في بعض الأوقات تشعر وكأن الكلمات تتوقف في الحناجر، وكأن يدك لا تستطيع كتابة بعض الحروف من شدة ارتعاشها، وكأن الدماء قد تجمدت في أصابعك والأعصاب قد تيبست في يدك، أتعلمون متى تكون هذه اللحظات؟ أجل عندما تكتبون أو تتكلمون عن فقدان من لا تتخيلون فقدانه في يوم من الأيام ولكن هذه سُنة الحياة ومهما طال بك الزمن فلابد من اليوم الذي ستفارق فيه من تحب أو يفارقك فيه من يحبك، انتهى اليوم الذي كنت أخشاه في مدرستي أتتذكرونه؟ عدنا إلى المنزل أنا وأبي وتناولنا وجبة الغداء وبعدها ذهب أبي ليأخذ قسطاً من الراحة وينام قليلاً، قالت لي أمي:

- معاذ، هيا بنا لنذهب إلي بيت عمك لنطمئن على جدتك، فلقد ذهبت اليوم إليهم وجاءني خبراً بأنها قد تعبت بعض الشيء من معدتها، فهيا بنا لنطمئن عليها ونعود.

قلت لها:

- هيا بنا يا أمي نطمئن عليها، هل أقوم بإيقاظ أبي ليذهب معنا أم لا؟

قالت:

- لا، دعه يرتاح ونذهب نحن وعندما يستيقظ يلحق بنا بمشيئة الله.

ذهبت أنا وأمي إلي منزل عمي لنرى جدتي ممددة بجسدها بردائها الأبيض الجميل وتصلي وهي نائمة وكأنها لا تشتكي من أي شيء، انتهت من صلاتها وجلست بجوارها، أمسكت بيدي وأخذت تردد هذه الكلمات:

- مولاي صلي وسلم دائماً أبدا على حبيبك خير الخلق كلهم، مولاي صلي وسلم دائماً أبدا على حبيبك خير الخلق كلهم، سبوح قدوس رب الملائكة والروح، كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان للرحمن، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

قلت لها:

- شدي من أزرك يا جدتي، أنتِ بخير لا تقلقي ستكونين بخير.

نظرت إليّ بوجهها الذي كان كفلقة القمر في ليلة البدر وابتسمت وقالت:

- إقرأ لي «إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون»

بدأت أقرأ وأنا لا أستطيع أن أتحكم في دموع عيني وها هي جدتي وتنطق الشهادة زيادة عن السبع مرات ويدها ترتخي بين يدي ويد ابنتها عمتي وتفارق الحياة بوجهٍ مبتسم، صرخت عمتي بأعلى صوت لديها وقالت «أمي» أقسم لكم بالله وكأنها تقتلع قلوب كل من حضر، انهمر الجميع بالبكاء والصراخ، ركضت من بيت عمي إلي منزلنا ودخلت على أبي وأنا أبكي ولا أستطيع الكلام، أبي:

- ماذا بك يا معاذ! لماذا تصرخ وتبكي اهدأ وتحدث!

أنا لا أستطيع التحدث؛ فصوتي لا يخرج من حنجرتي، احتضنني وأخذ يهدئ من روعي ويقول أخبرني ماذا حدث؟ وفجأة، يعلو الصراخ خارج المنزل، يتركني أبي ويركض وأنا خلفه إلي منزل عمي، ندخل إلى غرفة جدتي التي لا زالت مبتسمة وكأنها ترى مقعدها في الجنة وكيف لا وهي السيدة المصلية الصابرة التي لطالما كان ذكر الله على لسانها لا يفارقها قط، دخل أبي واحتضنها والكلمات لا تخرج من فمه، والدموع محتبسه في عينيه، نظر إليها مبتسماً وقال لها:

- لا تنسيني يا أمي أمام ربك، فاليوم أغلق عني باب من أبواب الجنة.

كلمات أبي كانت قليلة ولكنها تحمل معاني كثيرة وكثيرة، آه وألف آه يا جدتي رحلتي عنا يا من كنتِ تطيبين خاطر كل من يلقاك، آه وألف آه كيف أشكو للناس جرحاً بات في قلبي من لوعة الفراق يا جدتي، فلا أقول إلا ما يرضي ربي، رحمك الله يا جدتي وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الدقائق تمر كأعوام والكل يشعر وكأنه كابوس وليس حلم مزعج، أنتظر أن أصحو ولكن هيهات هيهات، تمر الدقائق والساعات وكلما يمر الوقت أيقن أن الذي نعيشه الآن ليس حلماً بل هو حقيقة وحقيقة مُرة ولكن هذه سنة الحياة؛ فالموت علينا حق ويجب ألا نتهرب من هذه الحقيقة مهما حدث، فحقاً مهما عشنا مع بعضنا البعض يجب أن يأتي اليوم الذي سنفارق فيه من نحب.

عدنا بعد مراسم الدفن والجنازة والعزاء وها هو اليوم الأول الذي سأقيم فيه الليل وصلاة الفجر بدونك يا جدتي، اليوم الأول الذي لن استيقظ على نغمات صوتك وغناءك الديني الجميل لي،

فرحمك الله يا قرة عيني وجمعنا الله بك في جنات النعيم.

مرت الأيام والليالي الثقال على قلوبنا جميعاً، بعد أيام ذهبت إلى المدرسة فلم أكن أستطيع التعامل مع أي فرد من شدة الحزن، لا أبالغ في حديثي، فكانت جدتي بمثابة أمي الثانية ليس لي فقط بل لعائلتي بأكملها، تقابلت مع أصدقائي وحاولت الخروج بأي شكل من الأشكال من الحزن الذي ينتابني، بدأت رويداً رويداً العودة تدريجياً والاختلاط تدريجياً مع زملائي، وجاء يوم المسابقة

الحمد لله حصلت على المركز الثاني على مستوى المحافظة وللأسف لم أوفق هذه المرة للصعود على مستوى الجمهورية ولكن أنا أعلم أنني قصرت في حق نفسي وعاهدت الجميع ونفسي أن أجتهد فيما هو قادم بمشيئة الله.

مرت الأيام وتخطيت العام الدراسي الأول بفضلٍ من الله، لتبدأ المرحلة الثانوية بشكلها وتحديها الحقيقي، آسف يا صديقي إن كنت قد ازعجتك قليلاً بكلماتي السابقة ولكن أحببت أن أشاركك ما شعرت وما مريت به، فأنا وأنت بالنسبة لي شخص واحد، فطالما وصلت إلى هنا في القراءة إذاً فقصتي تهمك وكلماتي نالت إعجابك بعض الشيء، فابق معي ولا تتركني، فقط كل ما عليك جهز فنجان قهوتك واجلس في مكانك المفضل، فكل ما هو قادم سيعجبك إن شاء الله، هيا بنا، هيا بنا،

الفصل السادس

بدأ العام الجديد وبدأت الثانوية العامة كما يجب أن تكون، فالجميع يعرف بأن الصف الأول الثانوي ما هو إلا كعام تمهيدياً لما سيأتي بعده، وكلما يكبر الفرد منا عاماً لا يلقي بالاً لما سوف يرتدي من ملابس أو من سيقابل في بداية عامه الجديد، فعامه الجديد يعتبر عاماً روتيني لما سبق، فدائماً يقل الشغف عاماً بعد عام، ولكن حدث في الصف الثاني الثانوي شيء غير من الشكل الروتيني بعض الشيء، فقد بدأت به فعلاً الحرب والتحدي الحقيقي في كل شيء، بدأ العام الدراسي الجديد بشكل طبيعي جداً بين دروس وصراعات واجتهادات وتفكير في المستقبل وأشياء أخرى كثيرة، لم ينتابه أي شيء غريب حتى وصلنا إلى مشارف نهايته وقبل الامتحانات بشهر واحد تغيرت ملامحه! شعرت بألم في جانب بطني الأيمن، ألم فظيع لا أطيق تحمله، ذهبوا بي إلى الطبيب وإذ به يقول لأهلي:

- يجب أن يدخل غرفة العمليات فوراً، التهاب شديد في الزائدة الدودية ويجب أن تنزع قبل أن تنفجر في جسده.

قرار سريع وتم اتخاذه، دخلت العمليات فوراً بعد عمل الفحوصات اللازمة، خرجت من غرفة العمليات وإذ بوالدي وأمي وإخوتي ينتظروني مبتسمين يقولون لي:

- حمداً لله على سلامتك يا معاذ.

وبعد يومين عدت إلى منزلي، وجلس معي أبي وأخبرني أن أؤجل بعضاً من المواد الدراسية لأقوم بامتحانها في العام القادم، قلت له:

- لا يا أبي، فأنا ذاكرت جيداً هذا العام وسأدخل في جميع المواد إن شاء الله.

قال لي:

- يا ولدي لا تثقل على نفسك، قف وارجع كما كنت أولاً وكل شيء سيكون على ما يرام.

وللأسف لم يأذن الله أن أدخل الامتحانات هذا العام بأكمله؛ فلقد اشتد عليّ الألم ما بين التهابات في جرح العملية الجراحية لمدة تصل إلى أربع وعشرين يوماً، وبعدها ضربني تيار كهربائي بجهاز الحاسوب لدي أدى إلى وجود حبوب كحب الشباب ولكن أسفل جفن العينين لديّ مما أدى إلى عمل أيضاً إلى عمل جراحة لتفريغ هذه الحبوب، وبعدها بثلاثة أشهر أو أقل قمت بجراحة وإزالة المرارة، كان عاماً مليئاً بالمصاعب والعقبات والشدائد والابتلاءات حمداً لله على حبه وابتلاءه ولكن كان لله حكمة في ذلك لا يعلمها إلا هو، قابلت كل هذا بنفس راضية ولم أسخط ولم أقل لمَ يحدث كل هذا، بل قلت قدر الله وما شاء فعل، وانتهى هذا العام برسوبي في الصف الثاني الثانوي وإعادة العام، وها أنا أستعد للعام الدراسي المؤجل الجديد الذي هو مليء بالتحديات والرضا وأيضاً مليء بكل حب، أجل وكيف لا وهو العام الذي لاقيت فيه أول حبٍ في حياتي.

الفصل السابع

الثانوي والحب الأول في حياتي، دخلت عامي الدراسي الجديد ولكن هذه المرة ليس معي أصدقائي؛ فلقد سبقوني بعام وتبقى منهم القليل فقط، واحد منهم أو اثنين فقط من يؤجلون بعض المواد الدراسية، وباقي الطلاب من مراحل أصغر مني سناً، وكان من حسن حظي أن في هذا العام كان قد بدأ النظام الدراسي الجديد بالثانوية العامة «نظام العام الواحد» فجعلوني أنا والطلاب الراسبين والمؤجلون للمواد في فصل مخصص بعيداً عن الطلاب الجدد أو الأصغر منا سناً وهذا هون علينا بعض الشيء، نسيت أن أخبركم بشيء، منذ العام الماضي وأنا الطالب المثالي بالمدرسة ورئيساً لاتحاد الطلاب بالمدرسة، أي أن جميع طلاب وطالبات المدرسة يعرفونني جيداً، وفي يوم من الأيام وإذ بي أجد نفسي أمُر لأختار بعضاً من الطلاب مع مدرس الأنشطة من الفصول للاشتراك معنا في بعض الأنشطة المختلفة، وكان معروفاً عني الصرامة في التعامل مع الفتيات وفي نفس الوقت المرح والضحك مع المدرسين والطلاب، وكنت ملتزماً، ولكن وقعت نظراتي على فتاة، كنت أسمع كثيراً كلمات مثل، «الحب من النظرة الأولى، الإعجاب من لمح البصر» كلمات كهذه وكنت أضحك عليها، ولكن ولأول مرة أشعر بهذه الكلمات بقلبي، فحقاً صدق من قال هذه الكلمات، فمجرد النظر على هذه الفتاة طار العقل والقلب والجسد يهفو إليها، كان معي في هذه اللحظة صديقي عبدالحميد وكان يعرفني من نظرات عيني ويقرأني من همسات صوتي، خرجت أنا وصديقي ومدرسنا الجميل الذي وكأنه أخ لنا وليس معلمنا فقط من الفصل، وجلست أنا وصديقي عبدالحميد في وقت الفسحة نتحدث، وإذ به يقول:

- الصنارة قد اوقعتك في حبها من النظرة الأولى يا معاذ.

وضحك، قلت له:

- لا أعرف ماذا تقصد؟

قال لي:

- رأيتك تنظر للفتاة التي كانت تجلس في الصف ما قبل الأخير في آخر فصل دخلناه وعينيك كانت تتناوب النظرات عليها، فهل يا ترى قد وقعت في الحب؟

قلت له:

- لا أعرف يا عبدالحميد! ما رأيك أنت؟ وهل أكمل في هذا الطريق أم لا؟ وما رأيك فيها؟ هل يظهر عليها الأدب والاحترام أم لا؟

وأخذنا نتحدث أنا وهو حديث الشباب وقال لي:

- أترك هذا الأمر لي.

فقد كان عبدالحميد يحب فتاة ويحدثها، فوعدني أن يسألها عن هذه الفتاة دون أن يخبرها عن أي شيء بخصوصي، وثقت في كلامه وأخذنا عهداً ألا يعرف أحداً عن هذه الأمور، فحقاً أنا وهو أكثر من الإخوة بكثير وكثير، مر يوم ثم يوماً آخر ووجدته يأتي إليّ مسرعاً وقال لي:

- معاذ، معاذ!

قلت:

- ماذا بك؟

قال لي:

- لن تجد لا في أخلاقها ولا في أدبها ولا في جمالها، ولا هي أيضاً لن تجد مثلك ليحافظ عليها، فتوكل على الله إن كنت فعلاً مال قلبك لها حدثها وبعد الدراسة تقدم لخطبتها.

شعرت بفرح في قلبي بعد سماع كلماته وبلهفة في نفس الوقت للحديث مع هذه الفتاة، ولكن لا أعرف كيف أحصل على فرصة للحديث معها وبينما أنا

أفكر وأفكر، وإذ بي أجد نفسي أمام أمر لم يكن على بالي من قبل، أنا وعبد الحميد أكثر من الإخوة وعبد الحميد يحب فتاة وهي تحبه وتثق به، فلما لا تساعدني هذه الفتاة في هذا الأمر! فعرضت الفكرة على عبدالحميد فوجدته قد اتخذ القرار من نفسه من قبل أن أحدثه، وإذ به يخرج رقم هاتفها من جيبه ويعطيه إليّ ويقول:

- رأيت الفرحة في عينيك يا معاذ فأردت أن أكملها وأتيت لك برقمها من حبيبتي وصديقتها ولكن أقسم لك أنني لم أخبرها أنه لك وأيضاً هي لا تعرف أن حبيبتي أعطتني رقم هاتفها، فحدثها وانظر ما سيحدث والأمر في البداية للنهاية نصيب وإن كان نيتك خير سيوفقك الله من البداية.

أخذت الرقم منه وأنا أفكر كيف سأبدأ الحديث معها وماذا سأقول لها، فأنا لم أفعل هذا من قبل ولم أحدث أي فتاة نهائياً! توتر شديد تفكير مستمر وأخيراً اتخذت القرار لأحدثها،

(غيداء) فتاة جميلة جداً، عيناها عسلية اللون تلمع في ضوء الشمس باللون العسلي الفاتح جداً، لون بشرتها قمحية اللون ليست بالبيضاء ولا بالسمراء، الوجه دائري، الابتسامة يشع من بينها الفرح والسرور وكأن القمر يبتسم لك، ليست بالطويلة ولا بالقصيرة فهي كالمهر الجميل، إن قلت هي جميلة فقط فقد ظلمتها؛ فالجمال لا يصف إلا جزء من أخلاقها، وإن قلت في غاية الجمال فهذا حقها؛ فأدبها يعلو في سماء صفاتها.

في لحظات بعد صلاة العشاء جلست أمسك بهاتفي أكتب رقم هاتفها وأحذفه أكتبه وأحذفه مرة أخرى، لا أعرف لماذا ولكن حقاً التوتر ينتابني بشدة، وفجأة تمالكت أنفاسي وإذ بي أضغط على زر الاتصال ومع كل رنة لجرس الهاتف تعلو دقات ونبضات قلبي، لم ترد عليّ في أول مرة، شعرت وكأني بدأت آخذ نفسي من جديد ونفسي يهدأ،

عاودت الاتصال مرة أخرى وردت عليّ:

- ألو، السلام عليكم!

أنا:

- عليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

سمعت الصوت ولم تتحدث كلمة واحدة بعدها، وأغلق الخط في وجهي، لم أستطع أن أعاود الاتصال مرة أخرى في هذا اليوم، فقد انتابني الشعور بالإحراج والخجل، واليوم التالي ذهبت إلى المدرسة وقصصت ما حدث لصديقي عبدالحميد، قال لي:

- لا تستعجل يا معاذ فالأيام قادمة.

كنت أتعمد السير أمام الفصل الذي توجد به هذه الفتاة؛ لكي أراها ولو لمجرد نظرة واحدة، وفي إحدى المرات خطرت على بالي فكرة وهو أن أبحث عن اسم حسابها الشخصي على موقع الفيس بوك وبالفعل بمساعدة صديقي عبدالحميد وحبيبته وصلت إلى حسابها وأرسلت لها رسالة كتبت فيها:

- السلام عليكم، كيف حالك يا غيداء، آسف جداً على اقتحام خصوصيتك أو على ما سوف أسببه لكِ من إزعاج، أنا صديقك في المدرسة معاذ، أعلم أنك تعرفينني فأنا كثير الظهور لديكم في الفصل وفي الكثير من الأنشطة الإذاعية والمدرسية، لا أود أن أطيل عليك في رسالتي ولكن أحببت أن أخبرك بشيء، أنتِ جميلة جداً ولفتِ انتباهي من أول نظرة قد نظرتها إليكِ، أنا لا أغازلك ولا أقدم لكِ كلمات ينتابها الغزل والاحراج لكِ، ولكن أقسم لكِ بأنها كلمات نابعة من قلبي وصميم وجداني، وأتمنى لو أنك تقرأي رسالتي وأن تعطيني فرصة واحدة للحديث معكِ ولو لمرة واحدة هاتفياً، فلم تأت إليّ الفرصة لسماع صوتك إلا في كلمة السلام

عليكم وبعدها أغلقت الاتصال في وجهي، هذا رقم هاتفي واتمنى التواصل إذا لم أكن سأسبب لكِ أي إزعاج، في حفظ الله.

كان هذا مضمون رسالتي، فلا تتعجب فكنت كثير الالتزام وكنت أتمناها حقاً ولا أريد أن أضيع الفرصة من يدي، وبينما أنا أجلس بعد يومين من إرسال رسالتي هذه وإذ بي أجد نفسي أمام رداً على رسالتي على حاسوبي على موقع الفيس بوك:

- وعليكم السلام ورحمة الله، أهلاً بك يا معاذ، أنا بخير، كيف حالك أنت، لا عليك أعتذر عن غلق الاتصال في وجهك، لم أكن أعرف بأنك أنت المتصل وأنت لم تخبرني، أنا أتشرف بالحديث معك في أي وقت، تحياتي إليك، ولكن أعتذر منك لنجعل الحديث والتواصل على رسائل الفيس بوك وليس هاتفياً إن لم أكن أزعجك!

قرأت الكلمات ومن شدة الفرح تجمدت يدي ولا أعرف ماذا أكتب لها، انتظرت دقائق وكتبت لها:

- شرف لي التواصل معكِ يا غيداء في أي مكان، لا عليك ليس بيننا أي إحراج.

أخذنا نتحدث ونتسامر أنا وهي حتى اشتد وتأخر بنا الليل والسهر ونسينا أنفسنا في الحديث،

هي:

- معاذ، أعتذر منك سأذهب لأنام قليلاً قبل الفجر ولنا تكملة فيما بعد، عن إذنك.

قلت لها:

- تفضلي يا غيداء، لا تعتذري وفقك الله، اسمحي لي أيقظك وقت كل صلاة باتصال على هاتفك وأنتِ كذلك لنذكر بعضنا البعض إن نسينا.

قالت لي:

- موافقة، استودعك الله.

قلت:

- في حفظ الله يا غيداء.

أغلقت معها الحديث وأقسم لكم من شدة الفرح الذي دخل قلبي نمت هذه الليلة نوم عميق وكأني لم أذق طعم النوم منذ فترة طويلة، واستيقظت في صلاة الفجر على رنة جوالي وإذ برقم هاتفها يرن عليّ ورسالة مكتوب فيها، «استيقظ للصلاة يا معاذ»

ابتسمت وقمت للصلاة، وبدأت حياتي العاطفية وأنا في سنٍ صغير ما بين تحدٍ في الدراسة وجمال وإثبات الذات، بين حب وعاطفة وإمالة للقلب تجاه المحب لمحبوبته.

(ابتسامة الحياة لي وسط خذلان)

هل تشعر بإحساس ابتسامة الحياة فجأة لك! كثيراً من أصدقائي في بداية حياتهم العاطفية كانوا يجلسون بالساعات يضحكون ويبتسمون ودائماً مزاجهم في سعادة مستمرة، لم أكن أفهم ما سبب كل هذا، في بعض الأحيان كنت أختنق وأكره الجلوس معهم وخصوصاً عندما أجد بعضاً منهم يأخذون هواتفهم ويبتعدون عن مجلسنا ليتحدثوا مع من يحبون من الفتيات، فها أنا صرت مثلهم ولكن لم أقع في كل هذه الأمور بعد، ذهبت في اليوم التالي إلى المدرسة في سعادة تغمرني، قابلت في طريقي قبل دخولي للمدرسة صديقي عبدالحميد،

أنا:

- عبدالحميد، أريد أن أخبرك بشيء حدث معي البارحة، شيء جميل جداً.

عبدالحميد نظر إليّ في دهشة قائلاً:

- يظهر عليك الفرح يا معاذ! ماذا حدث أخبرني؟

قلت له:

- لقد تحدثت مع غيداء البارحة وحدث كذا وكذا.

أخبرته كل ما حدث، فكان لي بمثابة الأخ وأكثر ولكن ليس تفصيلياً، فرح عبدالحميد لما رآه من فرح في عينيّ، وفي منتصف اليوم في وقت الفسحة قال:

- هيا بنا لنقابلها هي وحبيبتي.

قلت:

- هيا بنا.

ذهبنا أنا وهو إلى المكان المخصص لبيع الوجبات والمشروبات المدرسية، وفي طريقنا وجدناهما يسيرن معاً، نظرت إليها في عينيها وإذ بي أنسى العالم أجمع والابتسامة ترسم على وجهي والخجل يرسم على وجهها وتضع وجهها أرضاً وتذهب بعيداً، لا بأس فنظرة منها تكفي لتعديل يومي بأكمله.

انتهى اليوم الدراسي وذهب كلاً منا إلى منزله، وتغير يومي وصار أول شيء أفعله هو إرسال رسالة هاتفية أو على الفيس بوك للاطمئنان عليها، هل وصلت المنزل بخير وسلام أم ليس بعد؟ بدأنا بالتحدث أنا وغيداء رويداً رويداً هاتفياً، فمرة المكالمة تكون دقيقتين وتزيد مرة بعد مرة حتى وصلت لساعة وأكثر، كنا نخلق المواضيع والأمور حتى نطيل التحدث مع بعضنا البعض، مكالمتنا عبارة عن تبادل للضحكات والحكايات اليومية، ماذا حدث وماذا سوف يحدث، وتبادل للمعلومات والأسئلة العامة والدينية والدراسة، فقد كنت أكبرها، كنت بمثابة الأب الروحي لها في كل شيء والمشجع لها في كل الأمور، تستشيرني في كل صغيرة وكبيرة.

جاء عيد ميلادي الأول بعد علاقتي بها، وأنا أقف في مشروع أخي، وإذ بها تدخل على المكان عند عودتها من الدرس، فوجئت بها ولكن ما أجملها وما أحلاها من مفاجأة، إحمر وجهي من شدة الخجل، قالت لي بصوت رقيق:

- كل عام وأنت بألف خير.

وأخرجت لي هدية ملفوفة جيداً في غلاف مخصص للهدايا، من شدة الارتباك قلت لها:

- أنا بخير والحمد لله

ضحكت وقالت:

- أقول لك كل عام وأنت بألف خير، تقول أنا بخير الحمد لله!

تبادلنا الضحكات وبعض الكلمات في خجل، وأخذت الهدية وذهبت مسرعة، بعد ساعات قليلة ذهبت إلى منزلي وفتحت الهدية وجدتها ساعة جميلة ومعها مصحف جميل وكارت صغير مكتوب عليه:

- لم أختارك باختياري ولكن اختارك لي قدري، فأسأل الله أن يحفظك لي وأن يجمعني بك في أجمل قدر «أحبك»

قرأت هذه الكلمات وأنا أبتسم ولم أشعر إلا بيد أمي تطبطب على كتفي وتقول: - ما الذي تقرأه يا معاذ جعلك تبتسم! وما هذه الهدايا الجميلة! كل عام وأنت بخير يا ولدي، كل عيد ميلاد وأنت في وسط قلبي يا قرة عيني وفلذة كبدي.

وقلبتني وجلست بجواري وقالت لي حدثني بكل شيء بداخلك يا معاذ، قل لي يا بني، مرت عليك أيام وأيام وفيك شيء غريب وكنت أنتظرك تصارحني كما اعتدت ذلك ولكن لم تأت إليّ، ماذا بك وماذا يحدث معك! هل تحب فتاة ما؟

أنا في دهشة من سؤال أمي وارتباك:

- أمي، ما الذي تقولينه؟ فتاة! أي فتاة تتحدثين عنها! هذه هدية من أحد أصدقائي.

قالت:

- أصدقائك! وهل هدية من صديقك تجعلك تبتسم هكذا! إذا كان صديقك فاقرأ لي ما كتبه لك صديقك جعلك تبتسم هكذا!

وابتسمت ابتسامة لوم وعتاب لي، تبسمت في خجلٍ وقلت لها:

- يا أمي لم أعتد أن أخبئ عليك أي شيء في حياتي، فسوف أحكي لكِ كل شيء ولكن أوعديني ألا تخبري أبي بأي شيء، وقوميني إن كنت مخطئاً في شيء.

قالت:

- أعدك يا معاذ، قص عليّ ما بداخلك وأنا كلي آذان صاغية.

بدأت أحكي لها كل ما حدث منذ البداية، فقد فضح أمري ولا مفر بعد اليوم من أي شيء، فكانت أمي تعرفني من نظرات عيني إن كنت صادقاً أو كاذباً في حديثي معها، وبعد نهاية حديثي معها الذي طال لقرابة الساعة والنصف بلا انقطاع قالت لي:

- اسمع مني يا معاذ هذه الكلمات يا ولدي وقبل أن أبدأ أريد أن أسألك، هل تحبها حقاً أم أنك تسلي وقتك مثلما يفعل باقي الشباب في هذه الأيام؛ ؟

قلت لها:

- والله يا أمي أحبها وأحبها من كل قلبي ولم أحدثها في أي شيء يغضب الله نهائياً.

قالت:

- إذن فاسمعني يا ولدي جيداً، افعل واصنع ما تريد أن يصنعه الناس في أختك الزهراء، فإن صنعت خيراً فسترى كل خير في أختك، وإن صنعت شراً فستجد ما لا تحب أن تراه ولا حتى تسمعه على أختك، فاتق الله في صنيعك يحفظك الله في كل شيء، يا معاذ ما بني على باطل فهو باطل، ركز في دراستك وأخبرها أنني أريد أن أحدثها هاتفياً وأنا أعدك لو اجتهدتما أنتما الإثنين في دراستكما بمشيئة الله سأقنع أبيك أن يذهب معك لتتقدم رسمياً لخطبتها، فما أجمل الحلال يا معاذ وما أحلاه.

قاطعت أمي قائلاً:

- سأجعلها تحدثك حالاً الآن.

قالت:

- لا يا معاذ، حدثها أولاً حتى لا تسبب لها أي إحراج يا ولدي وخبرها ما حدث بيني وبينك.

قلت لها:

- حاضر يا أمي.

وقبلت يدها ورأسها واستأذنت منها وقمت لأتصل بغيداء، اتصلت بغيداء:

- السلام عليكم كيف حالك يا غيداء؟

غيداء:

- الحمدلله، كيف حالك أنت يا معاذ؟

أنا:

- أنا بخير الحمد لله، لكِ عندي خبر يا غيداء لا يقدر بثمن.

غيداء في لهفة:

- ما هو؟ أخبرني.

أنا:

- والدتي تريد أن تحدثك ما رأيك؟

وكما توقعت فرحت غيداء كثيراً بالخبر وقالت لي أتمنى ذلك يا معاذ، متى سأحدثها؟

قلت لها:

- الآن.

وأعطيت الهاتف لأمي

أمي:

- السلام عليكم كيف حالك يا ابنتي لعلك بخير إن شاء الله!

غيداء:

- الحمدلله يا أمي، أنا بخير لطالما أنك بخير، أنا سعيدة بسماع صوتك.

أمي:

- أنا أسعد منك يا ابنتي وأسعد أكثر بحديث معاذ ابني عنكِ، فأنتِ سبب في سعادته طوال الوقت، لا حرمكما الله من بعضكما البعض وجمعكما في خير وحلال.

وأخذت أمي تحدث غيداء وكأنها تعرفها قبلي، سعدت وفرحت كثيراً بهذه المكالمة بينهما وطلبت مني أمي الخروج من الغرفة قليلاً وبعد دقائق نادت أمي:

- معاذ، معاذ؟

دخلت الغرفة:

- نعم يا أمي أنا هنا.

قالت:

- غيداء معك على الهاتف.

أخذت الهاتف من أمي:

- معك غيداء.

كانت غيداء فرحة كثيراً وفي غاية السعادة وقالت:

- أريد أن آخذ وعداً وعهداً منك يا معاذ!

قلت لها:

- أنا معكِ أسمعك تفضلي!

قالت:

- نريد أن نجتهد ونعاهد الله أن نجتمع على الخير وأن نقلل محادثاتنا هاتفياً لنجعلها مرة أو مرتين كل أسبوع لدقائق معدودة

نطمئن على بعضنا البعض في حضور والدتك، فهي من الآن أمي أيضاً كي يجمعنا الله في الحلال.

قلت لها:

- أنا موافق على أي شيء، أهم شيء أن يجمعنا الله في نهاية الأمر.

ومنذ تلك اللحظة احترمنا الوعد بيننا وبين أمي، وهي كانت تحدث أمي يومياً بدلاً مني وأختي الزهراء وأصبحنا كعائلة واحدة وتعاهدنا على الاجتهاد حتى جاء نهاية العام الدراسي والامتحانات، كانت كل يوم ترسل لي رسالة بالتحفيز وتطمئن قلبي بكلمات مثل «لا تقلق يا معاذ، فعلت ما عليك فعله وعلى ربك التوفيق، دائماً ردد اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الصعب إذا شئت سهلاً» وأدعية مثل هذه.

انتهت الامتحانات وجاء يوم النتيجة وللأسف كانت النتائج في هذا العام على الجميع لا تسر عدواً ولا حبيباً، قلت في نفسي الحمدلله الخير فيما اختاره الله، أمامي عاماً آخر أستطيع التعويض فيه ولكن حزني الوحيد كان على أنني كنت أريد أن أفرح أبي وأمي وإخوتي بمجموع مرتفع ولكن شاء الله بذلك فالحمد لله في السراء والضراء.

جاءتني رسالة منها:

- إذا أخذ الله منك ما لم تتوقع ضياعه فسوف يعطيك ما لم تتوقع يوماً أن تملكه.

ذهبت إلى المنزل وكلي حزن في قلبي، وجدت أبي وأمي وإخوتي خلف الباب بمجرد دخولي المنزل وجدت أمي وأختي الزهراء قابلوني بالزغاريد وكأني حصلت على الدرجات النهائية، وأبي يحتضنني ويقول:

- لا عليك أهم شيء أن مجموعك من يديك ولم تعتمد على أحد، أنا واثق من أنك ستعوض في العام القادم.

فرحتهم وكلماتهم هونت عليّ كل ما بداخلي وحولت كل خذلان وكل يأس إلى كل أمل، فعلاً هم حقاً ونعم الأهل والعزوة كما نقول في بلادنا.

عبدالحميد صديقي حدثني هو وأصدقائي من كانوا في عمري وكانوا قد حصلوا على درجات أعلى مني بقليل، ولكن كانت في أصواتهم نبرات الحزن بسببي ويخفون أي شيء لأجلي، طويت هذه الصفحة وقلت في نفسي كما قال لي أبي، ما مضى قد مات وكل ما هو آت آت، فهيا يا معاذ فلتنهض من جديد فالحياة لا تتوقف على شيء، وبدأت الاستعداد للعام الدراسي الجديد والأخير بهذه المرحلة العصيبة وحولت من القسم العلمي إلى القسم الأدبي لكي أرفع من مجموع درجاتي في الصف الثالث والأخير، لالتحق بآخر حلم يتعلق به أبي وعائلتي بأكملها وهو كلية الشرطة أو كلية عسكرية، أو حلمي أنا شخصياً وتنمية موهبتي وهو كلية الإعلام، تحدثت أنا وغيداء في مكالمتي الأسبوعية معها وأخذت تشد من أزري وقالت:

- لا عليك أنا بجوارك ومعك.

وكانت مجتهدة جداً في دراستها وقالت لي كلمة لن أنساها، قالت:

- يا معاذ إن كان مستقبلنا الدراسي هو من سيتحكم في حياتنا مع بعضنا البعض وأهلي سيرفضونك إن لم تلتحق بكلية من كليات القمة، سأضحي أنا بحلمي من أجلك وأدخل أي كلية كي أكون في نفس مستواك التعليمي ويقبلونك أهلي.

زدت لها بعد هذه الكلمات فوق حبي حباً وفوق تقدري لها تقديراً واحتراماً ولكن قلت في نفسي أنني لن أسمح لأي شخص أن يضحي بمستقبله من أجلي مهما كانت النتيجة فأنا لست شخصاً أنانياً لكي أوافقها على هذا القرار، قلت لها:

- يا غيداء عاهديني بعهدٍ أنك سوف تجتهدين وتحصلين على أعلى الدرجات ولا عليك بي، أنا سأجتهد وأعدك بأني سأكون لكِ وستكونين لي.

قالت:

- أعدك.

وبدأت في دراستي في العام الأخير من الثانوية العامة، وبالفعل قد اجتهدت وحصلت على مجموع العامين يؤهلني للتقدم للالتحاق بالكليات والمعاهد العسكرية وأيضاً بكلية الإعلام ولكن بجامعة خاصة، في يوم ظهور النتيجة تحدثت مع صديقي عبدالحميد وأخبرته بأني أريده أن يتصل بعمه الذي يشغل منصباً كبيراً في الدولة بأن يوصي على إسمي بجوار اسم عبدالحميد أثناء التقديمات، قال لي عبدالحميد:

- لا عليك يا صديقي، فقط تظهر النتيجة وتحصل على المجموع واعتبر نفسك ضمن المقبولين باتصال من عمي.

ظهرت النتيجة واتصلت بعبدالحميد وحدثته بصوت حزين في البداية وكأني حصلت على مجموع أقل من الذي يؤهلني للالتحاق بالكليات العسكرية، قال:

- ها يا معاذ كم جمعت؟

قلت له:

- ليس لي نصيب معك يا صديقي، وفقك الله فمجموعي قليل جداً.

أقسم بالله شعرت في صوته بنبرة الفرح وكأني قد أزحت من على صدره جبلاً ثقيلاً، قال لي:

- لا عليك يا صديقي تعوض إن شاء الله.

سكتت قليلاً وقلت له:

- عبدالحميد، جهز نفسك لنسافر مع بعضنا البعض لنشتري ملف التقديمات.

قال لي:

- ماذا؟ كيف؟ كم حصلت من درجات؟

قلت له حصلت على كذا وصوت الفرح يغمرني، قال لي:

- مبروك يا صديقي إن شاء الله سنسافر بعد فتح باب التقديمات وسآتي إليك غداً ونتحدث.

وأغلق معي الاتصال

ومنذ تلك اللحظة انقطع الاتصال مع صديقي عبدالحميد ولم أره ولم أسمع صوته نهائياً، أتصل عليه فلا يجيب، أذهب إلى منزله لأسال عليه يخبروني بأنه غير موجود! ما الذي حدث الهذه الدرجة ولهذا الحد وصل بنا الحال ونفترق يا عبدالحميد من أجل طلب طلبته منك؟ يا صديقي على الأقل كنت أخبرتني أنه لا يصح والله ما كنت أكملته ولا طلبته منك، فلا أريد إلا استمرار صداقتنا واخوتنا، لا استطيع وصف شعوري منذ تلك اللحظة وكمية الخذلان والحزن الذي ولد بداخلي وما سببه لي هذا الموقف، تحدثت مع أبي وأمي وأخي حمد المقرب إلي قلبي الذي يعتبر توأمي،

قال لي حمد:

- لا تحزن، فرب البشر قادر على نصرك، فلا تطلب العون من أي أحد يا معاذ.

قلت له:

- أنا لم أحزن على طلبي، أنا حزين على صدمتي منه وبعده المفاجئ، لم أكن أتوقع كل هذا منه!

قال لي:

- يا معاذ، في هذا الزمن توقع أي شيء من أي شخص في أي وقت.

تحدثت مع غيداء التي طالما كانت تبث في روح القتال والاجتهاد، قالت:

- أنت تستطيع أن تثبت له أنك به وبدونه تستطيع الانتصار لأنك معك ربك أفضل منه ومن عمه ومن أي شخص على وجه الأرض.

كلمات كل من حولي حفزتني على الانتصار في كل شيء وبدء صراع واجتهاد جديد.

الفصل الثامن

انتهت المرحلة الثانوية بكل ما فيها، وكان ختامها بوجع الصدمات التي لم تكن تتوقع، فلم يكن عبدالحميد مثل أي صديق ولكن رُب أخٍ لم تلده أمك فعلاً، كان ينطبق عليه هذا القول ولكن هيهات فلقد أوجع قلبي بفعلته في نهاية الأمر.

بدأت الاستعداد للتقدم للالتحاق لإحدى الكليات العسكرية بالتمارين الرياضية والغذاء الصحي، ففي داخلي تحدي أريد أن أثبته لنفسي وأربحه لأرفع من قدر نفسي وأهلي أمام الجميع، جلس أبي معي يذكرني بكلماته أن أجعل كل خطواتي في السر ولا أعلم أي شخص بما سوف أفعله.

بدأت الإجراءات واستخراج الأوراق اللازمة لاستكمال الملف الخاص بي، وبدأت الاختبارات الخاصة بالالتحاق، كنت أسافر أنا وأخي بسيارتنا الساعة الثانية عشر مساء ونصل القاهرة فجراً، أدخل الكلية أقوم بالاختبار ونعود إلى الصعيد دون علم أحد بما نفعله، بعد كل اختبار كنت أحدث غيداء بما حدث معي وتدعو لي وتحفزني، حتى جاء الاختبار الأخير وهو ما يسمي كشف الهيئة، ذهبت أنا وأخي ووصلت إلى الكلية ودخلت وإذ بي أنظر وأجد من كنت أدعوه بصديقي وأخي عبدالحميد يقترب لمقر الاختبار، نظر إليّ وهو في ذهول؛ فلم يكن يتوقع أن أصل من الأساس إلى هذه المرحلة! ذهبت إليه وسلمت عليه لأوصل له رسالة واحدة أن الله قادراً على كل شيء، انتهينا من الاختبار وخرجت من المقر ولم أجد عبدالحميد مرة أخرى، خرجت ووجدت أخي ينتظرني في الخارج ويقول لي:

- هل وجدت أحداً تعرفه بالداخل؟

أخبرته بما حدث فضحك وقال:

- إن شاء الله موفق وستجتاز كل هذا.

رجعنا إلى الصعيد وتحدثت مع غيداء وإذ بي أصعق من الخبر، غيداء قد تمت خطبتها لشخص آخر!

لم أستطع تحمل الخبر وهي تبكي بصوت عالي ولا تعرف ماذا تفعل أو ماذا تصنع، فقد واعد أبيها أحد أقاربها بأنها له بعد عودته من الخارج، يا لوعة النفس ويا وجع القلب بعد سماع هذه الكلمات، سقط الهاتف من يدي ولا أعرف ماذا أفعل إلا البكاء والسجود باكياً وأقول يا رب، يا رب، أغلقت هي الهاتف وانقطع بيني وبينها الاتصال لعدة أيام، وبعد أيام علمت بأن رقم هاتفها قد تغير وأرسلت لي رسالة على الفيس بوك بأنها قد دمرت نفسياً ولا تستطيع العيش وأنها سترفض الزواج ولن تتزوج مهما طال بها العمر، وأغلق الفيس بوك أيام ولا أعرف كيف أصل لها، وبعد شهرين تم الاتصال بي للحضور لمقر الكلية للكشف الطبي المتقدم واستلام المهام، يا الله ما هذا! أجل لقد قبلت في الكلية التي يحلم بها أبي وأهلي وعائلتي بل وقريتي ومن يحبوننا جميعاً، ذهبت في صمت أنا وإخوتي وعدت إلى قريتي لأعاود مرة أخرى بعد يومين لأنتظم في دراستي، وإذ بي أجد كل أهل قريتي وأبي ينتظروني على مدخل قريتنا، حملني أبي على كتفه من بداية الشارع حتى المنزل فخراً بولده، فها أنا سنوات قليلة وسأعلق النجوم فوق أكتافي كما وعدته، كان يوماً وما أجمله من يوم.

ذهبت بعدها لأنتظم في دراستي وقبل البدء في الدراسة والتدريبات الجدية، أصاب بألم شديد في معدتي يصحبه ارتجاع في المريء ونزيف من المعدة، وزاد على هذا عدة بلاغات قدمت ضدي أنا وأسرتي ليتم فصلي من الكلية، لأفاجئ بعد ذلك بأن هذه البلاغات من أقرب الناس إليّ! أجل من أقرب الأقربين إليّ! وصدر قرار بفصلي من الكلية وتحول ملف دراستي إلى كلية مدنية، وقدمت طعن بقضية لأعود مرة أخرى للدراسة ولكن حدث أمراً غريب جعلني أيقن أنني لن أعود مرة أخرى لدراستي، كنت أسكن في منطقة

المقطم مع بعض الأصدقاء منهم من كان من قريتي ومنهم من كان من محافظات ومدن أخرى، بعد فصلي من الكلية أخذت قرار ألا أعود إلى قريتي مباشرةً حتى لا أنظر في أعين الشامتين ومن كانوا سبباً في خروجي من الكلية، وأيضاً لا أريد النظر في عين أبي وأمي لأرى نظرة الانكسار فيهم، وقلت في نفسي سأجلس في القاهرة قليلاً مع أصدقائي وأخي يتناوب عليّ بالمجيء وأقوم بالفحوصات اللازمة من أجل معرفة ما أشكو منه.

الفصل التاسع

وبينما كنا نسير في إحدى الليالي الباردة أنا وأصدقائي ونعود إلى الشقة التي كنا نستأجرها وإذ بأحدنا يقول:

- نريد أن نشتري بعض الفاكهة يا شباب وأن نحتسي بعض المشروبات من هذا المكان.

وأشار إلى مكان يبيع المشروبات الطازجة والباردة وهو مشهوراً جداً، وافق الجميع ونزلنا من السيارة، وجدت سيدة كبيرة في السن تجلس بجوار هذا المكان، فأشارت لي كي أذهب إليها، فذهبت إليها فطلبت مني خمسة جنيهات فأعطيتها مبلغ مما أعطاني الله ولكن هي أصرت أن تأخذ خمسة جنيهات فقط لا غير فأعطيتها إياها، فأمسكت بيدي وقالت لي:

- يا ولدي لا تخف ولا تحزن على ما فقدت ولا على ما ستفقد، ربنا يرضيك ويراضيك ويرضا عنك ويعلي مقامك ويشفيك، لا تخف ستنجو من عمليتك الجراحية بسلام.

نظرت إليها في ذهول وقلت لها:

- عن أي شيء تتحدثين! عملية، أي عملية جراحية؟

ضحكت وقالت:

- أريد بطانية فأنا ينتابني البرد والقشعريرة.

أعطيتها معطفي الذي كنت أرتديه وأخبرتها بأن تنتظرني لنصف ساعة لأذهب أنا وصديقي بالسيارة إلى الشقة لآتي إليها ببطانية لتقاوم برد الليل، استأذنت من باقي أصدقائي لينتظرونا أنا وصديقي حتى نعود وذهبت أنا وصديقي إلى الشقة التي كانت توجد بأحد العمارات التي تبعد عن هذا المكان قرابة العشر كيلو مترات ذهبنا مسرعين بالسيارة وقلت لصديقي:

- انتظرني حتى أنزل من الشقة.

خرجت من السيارة ودخلت من باب العمارة وإذ بي أجد نفس السيدة العجوز تجلس في المدخل! أقسم بالله تسمرت مكاني ولم أستطع الحركة ولو لخطوة واحدة،

قالت لي:

- لا تخف يا بني، هل رأيت عفريت!

استعذت بالله لأجدها امرأة أخرى، أجل إنها زوجة بواب العمارة ليست نفس السيدة، صعدت للشقة ونزلت وقدميّ تحملاني بصعوبة بالغة، جلبت البطانية ونزلت من الشقة لأجد السيدة ولكن هذه المرة هي وليست زوجة البواب تنظر إلي وتقول:

- لا تخف ستنجو يا معاذ من عمليتك الجراحية، لا تخف، ربنا يرضيك ويراضيك ويرضى عنك ويعلي قدرك ويشفيك.

وذهبت خلف العمارة، صرخت بأعلى صوتي أنادي على صديقي، أتى إليّ مسرعاً من السيارة، لم أقص عليه أي شيء مما حدث معي نهائياً وقلت له اصعد معي للأعلى فلن أذهب مرة أخرى إلى هذا المكان واتصل بباقي الشباب وأخبرهم بالمجيء، أخذ يتحايل عليّ ويقول:

- ماذا حدث لك، ماذا حدث؟!

قلت له:

- ولا أي شيء، فقط لنصعد إلى الشقة.

بعد قليل من الوقت أتى باقي الشباب ومعهم معطفي الذي أعطيته للسيدة وأخبروني أنها تركته وذهبت بجوار الطريق فجلبوه إليّ، أخذت أفكر وأقرأ القرآن حتى هدأت ونمت، وفي اليوم التالي اتفقت أنا وأصدقائي أن نذهب للصلاة في مسجد سيدنا الحسين الكائن في منطقة الدراسة، ذهبت أنا وأصدقائي وتسوقنا بعض الأغراض والهدايا التذكارية لنا وللأهل والأصحاب والأحباب ودخلنا لنصلي بداخل المسجد، ولا أستطيع أن أخبركم بالجو الروحاني الذي تشعر به في هذه الأماكن والراحة النفسية، أماكن تذكرك بكل شيء جميل، نعم فدائماً كنا نأتي هنا ومعنا جدتنا وكانت تغني ما تحب وتشعرك بالسعادة، وبينما يسير كلاً منا في طريقه داخل المسجد وإذ برجل مُسن يستوقفني أنا وأحد أصدقائي ويطلب منا الجلوس معه قبل إقامة الصلاة، فجلسنا معه وقال لصديقي سعيد:

- الله يحب العبد المُلح في الدعاء يا سعيد.

نظر إليه سعيد وقال:

- كيف عرفت إسمي!

قال له:

- معاذ قال لك اجلس يا سعيد، قلت له حاضر يا معاذ، انسيت؟

نظرنا أنا وسعيد إلى بعضنا البعض في دهشة! فنحن لا نتذكر أننا تحدثنا هذه الكلمات من الأساس، قال لنا مكملاً حديثه:

- الله يحب العبد المُلح اللحوح في دعاءه، ويحب أن يسمع أصوات عباده في دعاءهم، فدائماً ادعوه بما شئتم وإياكم أن تملوا من الطلب، فإن ما تطلبون لا ينقص من قدره شي ولو كان ملئ الدنيا والسماء والأرض، فهو الله هو الله هو الله هو الله.

قلنا له:

- ونعم بالله.

وانتاب جسدي القشعريرة من كلماته، قلت له:

- ادعو لي يا شيخ رجاء.

قال:

- ربنا يرضيك ويراضيك ويرضا عنك ويعلي قدرك ويشفيك.

قلت في نفسي:

- ما هذا لقد سمعت هذه الكلمات البارحة من أحدهم، نعم هي نفس الدعوات من السيدة العجوز!

قلبي قد انقبض منه مرة واحدة ووقفت على قدمي وقلت:

- أستأذنك شيخي للصلاة، ستقام الآن.

قال:

- اذهب يا بني ولا تخف، ستنجو ورب الكعبة من كربك، وقبل أن تذهب أريد خمسة جنيهات.

أعطاه صديقي سعيد الخمسة جنيهات ولكن لم يقبلها منه وألقاها في وجهه وقال:

- أريدها منك أنت، لقد دعوت لك أنت بخمسة جنيهات وأريدها.

أعطيته الخمسة جنيهات وإذ بمؤذن المسجد يقيم الصلاة،

قمنا جميعاً لنصلي وأنا ذهني وعقلي يفكر في شيء آخر، من هؤلاء! وما الذي سيحدث لي! وماذا يقصدون بكلماتهم؟ وانتهت الصلاة وذهبنا للشقة بعد انتهاء يومنا، وبعد يومين فقط والألم يشتد عليّ وانقل إلى المستشفى وقرار مفاجئ عملية جراحية في المعدة لانفجار قرحة في المعدة واستئصال جزء من المعدة، وكلمات لا أفهمها طبياً، كل ما أفكر فيه وحضر ذهني في هذا

الوقت كلمات السيدة والرجل العجوز، يا إلهي هل كانت هذه رسائل من الله لي لما سيحدث لي الآن! دخلت العمليات وبالفعل نجحت العملية الجراحية وحضر أخي وبعضاً من أصدقائي، ولم يعرف أبي وأمي بهذه العملية خوفاً عليهم من سوء الخبر ومن مرضهم.

وبعد مرور شهر كامل وأبي وأمي يسألون إخوتي وأخي يخبرهم أنني عدت لدراستي وممنوع الإجازة في هذه الفترة، وهم يصبرون ولكن قلوبهم تتحدث إليهم بأن أمر عظيم قد حدث لي، وأذن رب العالمين أن أخرج من المستشفى وأعود إلي قريتي ليتفاجأ الجميع بمنظري بعد العملية الجراحية، فقد قرر الطبيب أن أعيش فترة بجهاز مولد أكسجين محمول.

دخلت على أبي وأمي وأختي الزهراء وباقي إخوتي وأهلي، ومن هول المنظر أخذ الكل يبكي ويتساءلون ما الذي حدث! إلا أمي كانت هادئة بعض الشيء وعلى لسانها:

- كنت أعرف، لقد أخبرني، كنت أعرف، لقد أخبرني!

وبعدما هدأ الجميع سألها أخي:

- من الذي أخبرك وكيف عرفتي بالأمر؟!

قالت:

- منذ عشرون يوماً جاء رجلاً كبيراً في السن طرق الباب وسلم عليّ وقال لي اعطي معاذ هذا الظرف الورقي واجعليه يخرجه لله صدقه واخبريه بهذا الدعاء، ربنا يرضيك ويراضيك ويرضا عنك ويعلي قدرك واخبريه أن الله سينجيه من كربه ولا تخافي عليه يا حاجه، معاذ بخير وسيعود إليكم قريباً، وأسأل الله أن ينتقم ممن كانوا سبباً في ضرره في مستقبله، وفي هذه الليلة يا ولدي رأيت معاذ تائه في صحراء وبها أطباء في كل ركن فيها وكلما أنادي عليه يركض مني مبتعداً وأسمع نفس صوت الرجل ويقول بعد قليل سيعود إليكِ

لا تخافي يا أم رضا، لهذا السبب يا ولدي كنت أشعر بأن معاذ به شيء والكل كان يخبرني بأنه بخير ولكن قلبي يحدثني بأن شيء حدث له، الحمدلله على سلامته قدر الله وما شاء فعل.

مكثت في قريتي قرابة الشهرين والنصف وأنا لا أستطيع التحمل أكثر من هذا، فقلت في نفسي:

- أود أن أرجع إلى القاهرة أو أن أسافر أي مكان آخر، فأنا لا أطيق تحمل نظرات في عين أبي بعد تخييب آماله وظنه في مستقبلي للمرة الأخيرة، فلابد أن أعود مرة أخرى واقف على قدمي.

صرت أقاوم حتى استطعت تجميع قوتي وقلت في نفسي:

- يجب أن أعمل وأن أدرس وأن أتابع قضيتي في العودة للدراسة مرة أخرى، أنا أعلم بعد كل ما حدث أنه من الصعب العودة ولكن كلها محاولات حتى لا أقصر أمام الله في شيء أو أنني قد قصرت في حق نفسي.

وبينما أنا جالس في إحدى الليالي، وإذ بي أجد رسالة على الفيس بوك قمت بفتحها فوجدتها رسالة شكر من إحدى السيدات على إحدى القصائد الشعرية الوطنية التي كنت قد كتبتها سابقاً، بدأت الحديث معها برسائل كلها احترام لأكتشف في النهاية أنها فتاة في السابعة عشر من عمرها وهي تحدثني من حساب الفيس بوك الخاص بوالدتها، بدأت الأسئلة بعد ما عرفت بأن هذا الحساب هو حساب والدتها وليس حسابها:

- ما اسمك ؟ كم عمرك؟ أين تسكنين؟ ماذا تدرسين؟ كم طولك ووزنك؟

أرسلت لي «إيموجي» ابتسامة وكتبت وقالت:

- وهل هذا تحقيق يا سيادة الرئيس!

قلت لها:

- هيا اجيبيني مسرعة.

قالت:

- الاسم، مي، السن، سبعة عشر عاماً، أسكن في القاهرة، أدرس بالثانوية العامة، طولي ووزني دعك منه لأني لا أعلمه حقاً، وأنت اسمك؟ عمرك؟ وماذا تدرس؟ ومن أين؟ ولن أسألك عن طولك ووزنك حتى لا احرجك.

لم أجيبها في وقتها، لأني قد تذكرت في هذا الوقت غيداء وكم كنت أتمنى أن أحدثها لو للحظات، وإذ بها ترسل رسالة وتقول لي:

- أين ذهبت؟ هل أنت مشغول؟ إذن أتركك الآن لأني ذاهبة إلى الدرس مع ماما، سلام.

قلت لها:

- أنا معاذ، من صعيد مصر ولكني مقيم الآن بالقاهرة، أدرس بإحدى الكليات العسكرية ولكن صدر قرار بفصلي وتم تحويل ملفي الدراسي لجامعة مدنية ومن المحتمل أن أعود مرة أخرى ومن المحتمل لا، ونكمل حديثنا بعد عودتك بمشيئة الله في وقتٍ لاحق، في حفظ الله ورعايته.

دار الحديث في داخلي في هذه اللحظات أنني لا أريد أن أكرر خطأي السابق ولا أريد أن أعلق قلبي بأحد وفي النهاية أخسره أو العكس، يا إلهي ماذا أفعل؟

جاء الليل وعم المساء والظلام وقمت بالصلاة، وقلت لأمي:

- ادعي لي يا أمي.

دعت لي أمي دعوة غريبة لم أسمعها منها من قبل، قالت:

- يا معاذ أسأل الله أن ينور بصيرتك، وألا يعلق قلبك بشيء إلا وكان لك فيه نصيب، ولا يعلق قلب أحد بك إلا وكان له فيك نصيب، يا ولدي دع أمرك كله لله ووكل أمرك كله لله واذهب إلى فراشك وقم بصلاة الاستخارة في كل شيء، فعينك تقول الكثير والكثير، فلن يدلك على الصواب إلا رب العباد، تصبح على خير يا معاذ.

قبلت رأس أمي ويدها وذهبت إلى أبي كذلك وذهبت إلى فراشي، وفي صباح اليوم التالي وجدت رسالة من والدة مي تطمئن عليّ، أجل والدتها بنفسها، أرسلت لها السلام فوجدت حسابها نشطاً تبادلنا الحديث والتعارف بيننا أكثر وأخذت رقم هاتفها وبدأ التعارف أكثر وأكثر رويداً رويداً، شعرت وكأني أعرفها من فترة طويلة وسألتها على مي كيف حالها وأخذنا نتحدث وطلبت منها أن أسلم على مي هاتفياً فوافقت، وبدأت من هذا اليوم أن أفكر جدياً في الذهاب إلى القاهرة والعمل بجد على الرجوع إلى دراستي وإثبات ذاتي لنفسي وأهلي وكل من حاول إيذائي في يوم من الأيام، فالعتاب لا يكون بالكلام ولا بالخصام ولكن العتاب بالنجاح وإثبات الذات هو الضربة القاضية لعدوك، فابتسم في وجه عدوك توجه له سهماً في صدره إن كان يكن لك حقداً، أو تنبت بينك وبينه حبلاً للوصال إن أراد الله وصله، هكذا علماني أبي وأمي.

أخذت القرار وها أنا أستعد للسفر والرحيل إلى القاهرة، وقبل السفر جلست مع والدي وأمي وإخوتي وعاهدتهم جميعاً بأني لن أعود إلا وأنا مرفوع الرأس، اسماً ومنصباً وقيمة وقامة كما يتمنون أن يروني في يومٍ من الأيام، وخرجت أنا وأخي بسيارتنا متأخراً حتى لا يراني أحد ولا أرى أحد أثناء سفري وخروجي.

الفصل العاشر

خرجت من قريتي أنا وأخي في صمت شديد وكأني أسافر إلى دولة أخرى، وبدأ أخي بتشغيل الأغاني في السيارة، فكنا نعتاد على سماع الأغاني الأصيلة كأم كلثوم وعبد الحليم حافظ وما شابه ذلك، وبدأت الأغاني على أغنية لأم كلثوم، «إنت عمري، رجعوني عينيك لأيامي اللي راحوا، علموني أندم على الماضي وجراحو، اللي شفته قبل ما تشوفك عنيا»

كل كلمة أسمعها وأرى صورة غيداء على زجاج السيارة أمامي وصورتها تتحرك معي في كل خطوة تخطوها السيارة، آه يا جميلتي وما أفظع القدر وما أقساه على قلوبنا عندما يفرق بين قلب وآخر.

مرت الدقائق والساعات وها نحن ندخل القاهرة على أغنية القاهرة ونيلها لعمرو دياب ومحمد منير، وصلنا إلى الشقة وودعت أخي وأخذ يوصيني بعدة وصايا كثيرة وكثيرة؛ لأني الآن أعد في غربة، أكيد أنا قريب منهم فقط تفرقنا الساعات وبعض الكيلومترات ولكن أنا وحدي، بدأت أرتب حالي، أنني الآن لست شاباً أقوم بالدراسة ولكن لا أنا الآن شاباً أبحث عن العمل لكي أبني مستقبلي، بدأت من اليوم التالي مباشرة بالبحث عن العمل، لم أقل أن هذا العمل لا يصح وأنا فلان وابن فلان، لا أهم شيء عندي أن العمل يكون حلال لا يشوبه شائبة، ذقت المُر في كل عملٍ أدخله حتى تعلمت الكثير والكثير وأكرمني الله بعملٍ في مكتب بالتسويق العقاري، تعلمت بعض الخبرات وبعدها صرت أعمل وحدي عن طريق التسويق على شبكات التواصل الاجتماعي، وفي نفس الوقت أحارب في دراستي المدنية لأثبت نفسي، وأتابع قضيتي في مجلس الدولة، هل يا ترى سأعود لدراستي في كليتي أم لا؟ صراعات كثيرة وكثيرة، وفي وسط كل هذا اشتدت العلاقة بيني وبين مي ووالدتها وطلبت منها أن أقابلهم للمرة الأولى:

- السلام عليكم يا مي، كيف حالك وكيف حال والدتك؟

مي:

- الحمدلله يا معاذ، أنت كيف حالك؟

أنا:

- أنا الحمد لله بخير، مي هل أستطيع أن أطلب منك طلباً صغيراً وهو أن أقابلك أنتِ ووالدتك في إحدى الأماكن العامة؟

مي:

- لا أعرف يا معاذ! ماما معك أخبرها وخذ رأيها!

والدتها:

- السلام عليكم، كيف حالك يا معاذ؟

أنا:

- الحمد لله، كيف حال حضرتك؟

والدتها:

- الحمدلله، تفضل يا معاذ مي تقول أنك تريدني في شيء!

أنا:

- كنت أقترح على مي أن أقابلكم في إحدى الأماكن العامة إن لم يكن هنالك أي إزعاج لكم؟

والدتها:

- لا ليس هناك أي مانع يا معاذ، سأحدد موعد وأخبرك.

أنا:

- شكراً لحضرتك، في انتظار الموعد بمشيئة الله، هل ممكن أن أحادث مي؟

هي:

- تفضل مي معك.

مي:

- معك معاذ!

أنا:

- حاولي أن تقنعي والدتك بالمقابلة يا مي، فأنا حقاً أريد مقابلتكم وبعد هذه المقابلة إن شاء الله سأخبرك بمفاجأة.

مي:

- إن شاء الله خير يا معاذ، سأرى وأخبرك إن شاء الله.

أخذنا نتحدث أنا ومي قرابة الساعتين والنصف ووالدتها أيضاً، وفي نهاية المكالمة أخبرتني والدتها أنه ليس هنالك مانع من المقابلة بعد غد في أي مكان عام نحدده معاً، اتفقنا على المكان، وكنت قد رأيت مي في صورة تجمعها هي ووالدتها واخوتها ووالدها في صورة جماعية أرسلتها لي والدتها تم التقاطها لهم في إحدى المناسبات الخاصة بالعائلة، أغلقت المكالمة وصرت اتجهز لهذا اليوم منذ غلق المكالمة، يا ترى من الذي سيساعدني في اختيار ملابسي! أجل هو الوحيد الذي ألجأ إليه، عمير صديق الطفولة، فهو الآن في القاهرة يدرس بإحدى كليات القمة، سأحدثه ليساعدني، وبالفعل اتصلت به..

أنا:

- السلام عليكم يا عمير، كيف حالك يا صديقي اشتقت إليك كثيراً وأريد أن أقابلك الآن، أين أنت وسآتي إليك؟

عمير:

- وأنا أيضاً يا معاذ، أنا في شقتنا في مصر القديمة، خذ العنوان عندك وتعالى أنا في انتظارك.

ذهبت إليه وأخبرته بما سيتم، وبالفعل ساعدني في اختيار ملابسي على أكمل وجه، وجاء يوم المقابلة ذهبت إلى المكان المحدد لأنتظرهم قبل أن يصلوا وكل دقيقتين أقوم بالاتصال عليهم لأطمئن عليهم هل وصلن أم ليس بعد، حتى وصلوا إلى المكان، نظرت إلي مي ووالدتها، شعرت بشيء غريب يراودني في هذه اللحظة، أجل هو نفس الشعور الذي راودني وقت رؤية غيداء أول مرة، طردت التفكير من دماغي حتى لا أرتبك، فهي المرة الأولى التي أقابل فتاة فيها في مكان عام وأيضاً معها والدتها أي مقابلة رسمية.

مي، فتاة جميلة خجولة جداً كلماتها قليلة، من النظرة الأولى تعرف أنها قليلة الكلام، لا تنظر في عين أحد حتى وإن كنت تحدثها، سلمت عليهما وكعادتي مرتبكٌ جداً لا أعرف أين سنجلس! هل نجلس أولاً أم نذهب لنحتسي مشروبات، لا أعرف! قالت والدتها لي:

- نجلس أولاً ثم نشرب ونفعل كل ما تريد، حتى نأكل إذا أردت.

وأخذنا نضحك وشعرت بالخجل وظهر عليّ احمرار وجهي وجلسنا في مكان مشهور نتحدث في كثير من الأمور، أسئلة كثيرة وكثيرة وانتهت جلستنا الطويلة، وأوقفت لهما تاكسي ليوصلهما إلى منزلهما، ودفعت لهما الأجرة بعد حلف كثير ورفض منهما، وذهب كلا منا إلى بيته وسط سعادة تغمرني، في نفس الليلة اتصلت عليهم،

أنا:

- مي، هل تقبلين أن أتقدم لخطبتك بعد مشورة أهلي بمشيئة الله تعالى؟

مي في خجل:

- لا أعرف! ماما معك.

والدتها:

- ماذا بك يا معاذ؟

قلت لها:

- أريد أن أتقدم لخطبة مي رسمياً، سأستشير أهلي بمشيئة الله وأتقدم لخطبتها، ما رأيك؟

قالت:

- أنت تشرف أي أحد يا معاذ، سأستشير إخوتها أولاً وأبيها، وأنت أيضاً استشير أهلك وما فيه من خير ييسره الله.

أغلقت معها الاتصال وأنا في فرح شديد واتصلت بوالدتي ووالدي وأخبرتهما أنني سأقوم بالسفر إلى الصعيد لأني أريد أن أناقشهما في أمر ما، وبالفعل في اليوم التالي سافرت إلى الصعيد إلى قريتنا وجلست مع أبي وأمي وإخوتي وحدثتهم في كل شيء عن مي وأهلها وكل ما حدث، وشعرت بالسعادة فيهم وأبي قال لي:

- أنا موافق ولكن الزواج بعد تحديد مصيرك في الدراسة يا معاذ، نقرأ الفاتحة الآن إذا وافق والدها أن نتقدم لخطبتها والزواج بعد تحديد مصيرك، ولكن يجب أن تصارحهم بكل شيء منذ البداية.

قلت له:

- فعلت ذلك يا أبي.

قال:

- على بركة الله يا معاذ.

اتصلت بمي ووالدتها وأخبرتهن بما حدث، وإذ بمي تعطي الهاتف لأخيها الذي يكبرها يدعى (هيثم)

هيثم:

- السلام عليكم.

أنا:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، كيف حال حضرتك أستاذ هيثم!

هيثم:

- الحمد لله يا أستاذ معاذ.

قلت له:

- أنا اسمي معاذ فقط وأنا أخيك الأصغر، دعنا من الألقاب.

بدأ يحدثني ويسألني عن بعض الأمور الخاصة بي والزواج ودراستي، وصارحته بكل شيء كما قال لي أبي وفي نهاية المكالمة قال لي:

- يا معاذ عقد قراني السبت المقبل، أريدك أن تحضره على أنك صديقي وأنا سأفتح الموضوع مع والدي على أنك صديقي وتريد أن تتقدم لخطبة مي وأحدد لك موعد لمقابلته وسأخبره بأنك ستأتي في حفل عقد قراني.

فرحت كثيراً بكلماته ووافقته على رأيه، وبالفعل ذهبت إلى حفل عقد قرانه أنا وأخي حمد وقابلت أباه وسلمت عليه وحددت معه موعد على اليوم التالي لمقابلته للاتفاق على كل شيء قبل تحديد الموعد الرسمي لمجيء أهلي للخطبة الرسمية وقراءة الفاتحة.

في اليوم التالي ذهبت إلى منزل والدها في الموعد المحدد، سألني بعض الأسئلة وقلت له:

- متطلبات حضرتك ماذا؟

قال لي:

- أنت من ستتزوج وأنت من ستعيش مع ابنتي والذهب هديتك لابنتي، فإن كنت لا تستطيع فتح بيت ما كنت ستدخل هذا البيت من الأساس وأنا أعلم في الصعيد لديكم أن الشخص يخرج من بيت رجال ومن يخرج من بيت رجال لا يؤذي بنات الرجال في شيء، اسمعني يا معاذ حدد موعد يا ولدي لأهلك وبيتي مفتوح لكم في أي وقت، من يدخل البيت من بابه يحمل على الرأس هو وأهله، فما رأيك يا معاذ أنت في كلامي؟

قلت له:

- بعد كلامك نفذ الكلام، سأحدث والدي على موعد اليوم وسأحدثك لتحديد الموعد هذا الأسبوع بمشيئة الله تعالى ولكن الزواج بعد تحديد مصيري في الدراسة إن أكملت كليتي العسكرية سيمون بعد الدراسة وإن أكملت في كلية مدينة سيكون بعد سنتين ل سنتين ونصف بمشيئة الله تعالى وستسمع كل هذا من أبي.

قال لي:

- على بركة الله.

تحدثت مع والدي واخبرته بكل ما حدث قال لي:

- حدد موعد على يوم الخميس القادم يا معاذ.

وبالفعل حددنا الموعد وجاء يوم الخميس صباحاً ذهبت أنا ومي ووالدتها واشترينا شبكة ذهب صغيرة وفي المساء حضر أهلي، وصديقي كامل وأخيه حماد وقرأنا الفاتحة وتم الاتفاق على كل شيء، وفي نفس اليوم رأى كامل صديقي ابنة عمة مي وأعجب بها وقال لي:

- يا معاذ تعجبني هذه الفتاة وأريد أن أحدث والدتها وخير البر عاجله ولتكن الفرحة فرحتان ونتمم موعد لأتقدم لخطبتها أيضاً.

ذهبت لوالد مي وأخبرته بأن كامل يريد خطبة سالي ابنة أخته وأعجب بها ويريد أخذ رقمها ورقم والدتها ليحدد موعد ليتقدم لخطبتها، فلم يبالي ولم يرفض ووافق وبالفعل أعطاه رقم والدتها، وها أنا ومي قرأنا الفاتحة واتفق الأهل هنا وهناك على كل شيء وأصبحت حلالي وتبقى فقط اجتهادي لتكون في بيتي، فهيا بنا أصدقائي لنبدأ بما تنتظرونه جميعاً، وحياتي وكفاحي الحقيقي، فكل ما سبق لم يكن إلا تمهيداً لكل ما هو جميل فيما هو آت وتمهيداً أيضاً لكل الصراعات التي خضناها معاً وما حدث لي، فهيا بنا.

الفصل الحادي عشر

في اليوم التالي خرجت للنزهة أنا ومي ووالدتها وأخيها هيثم وزوجته وكامل صديقي للتنزه في إحدى المولات الكبرى في القاهرة، دخلنا السينما وتناولنا وجبة العشاء وجلسنا نتحدث ونضحك سوياً كعائلة واحدة وكانت ليلة جميلة، عدنا إلى الشقة وسافر صديقي كامل إلى الصعيد إلى قريتنا عائداً إلى بيته، ومرت الأيام والليالي وكنت أذهب كل أسبوع مرة أو مرتين إلى بيت والد مي لأقضي معهم اليوم ونخرج للتنزه أنا وهي، فكانت حياتنا بين فرح وسرور ومودة لا تعرف إلا الضحكات والمرح، وفي يوم من الأيام اتصل عليّ والد مي وقال لي:

- يا معاذ، أريد أن أتحدث إليك في أمر ما، هل تستطيع المجيء إليّ غداً نتناول الغداء ونتحدث؟

قلت له:

- لا بأس يا عمي، سآتي إليكم ولكن بعد انتهاء وقت عملي سأذهب إلى مكتب المحاماة لأرى ماذا حدث في جلسة الغد في قضيتي وسأكون عندك بعدها.

وبالفعل في اليوم التالي انتهيت من عملي وذهبت إلي المحامي وكان الحكم النهائي في قضيتي للأسف برفض الدعوى المقدمة من قبلي وتم الحكم النهائي ضدي، اتصلت بوالدي أخبرته قال:

- لا عليك يا معاذ قدر الله وما شاء فعل يا ولدي، سيعوضك الله، أنا أثق في ذلك.

ذهبت إلى والد مي، تناولنا الغداء وجلس معي في غرفة وحدنا، أخبرته بنتيجة الحكم في القضية قال:

- لا عليك يا معاذ، أنا قبلتك لابنتي وأنا أعلم أنه من المحتمل رفض الدعوى، فاجتهد في مستقبلك وكأنك لم تقبل من الأساس في هذه الكلية.

قلت له:

- الحمد لله، أخبرني يا عمي ماذا تريد! ماذا حدث! هل هنالك شيء؟

قال:

- أريد أن أحدثك بخصوص كامل صديقك وسالي ابنة أختي، فقد طالت الأيام يا معاذ ولم يأخذ خطوة جدية حتى الآن، فحدثه رجاء وإلا أخبره أن يقطع اتصالاته بسالي حتى يأخذ خطوة جادة حتى لا يعلق قلب سالي به ويخذلها في النهاية.

قلت له:

- حاضر يا عمي، معك حق، سأحدثه.

دخلت مي ووالدتها وأخذنا نضحك ونتحدث وأخبرتهم ما حدث، قالت لي لتهون عليّ:

- أنا لا أحب الضباط، وكنت أريدك أن تخرج منها من الأساس، لأنك ستكون في خطر وكنت قلقة عليك، فالحمد لله أنك لم تعد إليها فلا تحزن.

عند سماع كلماتها تذكرت غيداء وكأنها هي من تحدثني، شعرت باحتقار لنفسي بداخلي، ماذا أفعل وكيف أفكر أنا أظلمها الآن معي، يجب أن أنسى غيداء نهائياً وألا أعاود التفكير فيها، استأذنت منهم للذهاب وخرجت للعودة إلى شقتي، بعد العودة اتصلت بكامل صديقي،

أنا:

- كيف حالك يا كامل! لعلك بخير إن شاء الله.

كامل:

- الحمدلله يا معاذ، كيف حالك أنت وكيف حال مي؟

أنا:

- الحمدلله يا صديقي، كامل أريد أن أسألك متى ستتقدم لخطبة سالي؟

كامل:

- ليس الآن، على الأقل بعد سنة أو بعد خطبة أخي حماد الذي يكبرني، فأنت تعلم لا أستطيع خطبتها الآن يا معاذ.

أنا:

- إذن يا صديقي قلل من الكلام معها حتى يكون هناك علاقة جادة ورسمية بينك وبينها، على الأقل قراءة فاتحة يا صديقي، فلا تنسى أنك جئت عن طريقي وأنا في وجه المدفع في كل شيء ولن أتحمل أي كلمة تسيء إليك.

كامل في صوت حزين:

- ماذا تعني يا معاذ! حاضر يا معاذ سأمحو رقم هاتفها ولن أحدثها مرة أخرى مع السلامة.

أنا:

- اسمعني يا كامل، كامل، كامل!

وانقطع الاتصال، في اليوم التالي كنت نائماً، فكنت أنام قبل تمام الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وإذ بهاتفي يرن الساعة الواحدة والنصف ليلاً وإذ به والد مي ويقول لي:

- يا معاذ أتعرف شخصاً يدعى حماد فلان الفلاني؟

قلت له:

- نعم هذا شقيق كامل صديقي الذي تعرفه وقد حضر خطبتي أنا ومي، ماذا به!

قال:

- لقد اتصل بي وأخبرني أن فيك كذا وكذا وأخذ يزم فيك ويسب فيك أنت وأهلك ويقول فيك العبر ويسيء إليك ويحذرني منك! ساعة واحدة وتكون أمامي يا معاذ إن كنت فعلاً تريد مي؟

قلت له:

- يا عمي أنا واثق من نفسي، بمشيئة الله غداً بعد انتهاء عملي سآتي إليك وإن كنت قد صدقت هذا الكلام فاعتبر ما بيننا قد انتهى وكل شيء نصيب.

قال لي:

- يا معاذ إن كنت قد صدقت ما كنت اتصلت بك، انتهي غدا من عملك وتعالى إليّ يا معاذ على مهلك لنتحدث أعتذر إليك أنني قمت بإفزاعك في وقت متأخر، مع السلامة.

ذهبت إليه في اليوم التالي بعد انتهاء عملي وأخبرته بالمكالمة مع كامل ليلة البارحة، فعلم أنه تحدث من حقده ليعكر عليّ كل شيء أسير فيه ولم يكتف حماد بمحادثة والد مي فقط بل تحدث مع كل من يعرفه من عائلة مي عن طريق حساباتهم على مواقع التواصل الاجتماعي وأخذ يسيء ويشوه صورتي،

وكانت هذه صدمتي الثانية في أعز أصدقائي بعد صديقي عبدالحميد، ومنذ تلك اللحظة بدأت الصراعات تلو الأخرى وأنا لا أبالي وأقارب مي وأقاربي من يكنون لنا الحقد والضغينة يصطادون في المياه الملوثة ويريدون أن يوقعون بي في أي شيء ليشمتوا في أبي وأمي وإخوتي ولكن هيهات هيها، فأنا أستعين برب البشر.

مرت الأيام والليالي والشهور، واقترب الموعد الذي كنا نخطط له وحددناه للزفاف، وأنا أحارب بين دراستي الجديدة وبين عملي، وضغوطات بين هذا وذاك ولا أشعر أي شخص بما أنا فيه، فكل من ينظر إليّ يشعر وكأن الحياة لونها أبيض ووردي مليئة بالفرح والسعادة فقط، ولا يشعرون ولا يرون ما أعاني خلف الستار من تعب ومشقة في جمع ما أجمعه.

أكرمني الله في عملي واجتهادي وكنت دائماً أبحث عن السعادة لمي أين هي وأذهب إليها لأجلبها لها مهما كانت قيمتها، فنظرة في عينيها وهي تبتسم فرحة بما أقدمه لها يغني عن العالم بما فيه.

ابتعدت قليلاً عن بلدي وأهلي بعض الشيء بسبب عملي والضغوطات التي أمر بها، ولم أسافر لفترة طويلة، فكانوا هم من يأتون لزيارتي وليس العكس، ولا زالت المواقف الغريبة تحدث لي وتحدث معي بعدما غيرت مقر سكني؛ نظراً لظروف عملي أخذت شقة صغيرة بالقرب من مقر عملي الجديد، فأنا أسابق الزمن لأجهز حالي وشقتي استعداداً للزواج، كنت كل يوم وأنا ذاهب لعملي أرى رجلاً يجلس على درجات السلم التي كانت بجوار باب شقتي، فأنا كنت بالطابق الأرضي، رجلاً شكله غريب بعض الشيء يرتدي جلباب أبيض متسخ بعض الشيء، فوقه عباءة لونها بني، ويرتدي فوق رأسه عمامة بيضاء ويمسك في يده سبحة خشبية ولا يتحدث حتى وإن ألقيت عليه السلام لا يرد عليّ قط، وفي يوم وجدته يقول لي:

- معاذ!

التفتت له قلت له:

- نعم!

قال لي:

- انتبه لحالك منهم يا معاذ وما يدبرونه لك ليس سهلاً، يا معاذ انتبه لحالك يا معاذ، انتبه لحالك.

قلت له:

- من؟ من تتحدث عنهم! وماذا يدبرون لي؟

تذكرت في نفس اللحظة الشيخ الكبير والسيدة العجوز اللذان قابلتهما سابقاً، قال لي:

- انتبه وستعرف.

وقام من مكانه ودخل الشقة التي كانت تعلو شقتي وأغلق الباب، طرقت الباب فلم يفتح، ذهبت إلى عملي واتصلت بصاحب المنزل الذي كنت أستأجر منه الشقة التي كنت أسكنها، قال لي:

- مواصفات هذا الرجل كذا وكذا؟

قلت له:

- نعم هو، تلك هي مواصفاته بالضبط.

قال لي:

- معاذ يا ولدي، لن تجلس في الشقة يوماً واحد بعد الآن.

قلت له:

- لماذا؟ ماذا تقصد؟

قال لي:

- تعالى خذ أغراضك يا ولدي وسأخبرك بعد أن أنقلك في شقة أخرى.

وبالفعل انتهيت من عملي وذهبت إلى الشقة وكان ينتظرني صاحب الشقة (الحاج رزاق) جمعت أغراضي وحملها معي لعمارة أخرى وشقة أخرى، ودخلنا معاً وجلس يحدثني وقال لي:

- هذا رجلاً ساحر كان يسكن في هذه الشقة ومات في غموض ولا أحد يعرف سبب موته حتى الآن، وما ظهر في مرة لشخص وحذره من شيء إلا وحدث بالفعل شيء مجهول لذلك الشخص، فلذلك يا ولدي خشيت عليك من أي سوء فأخرجتك من الشقة، ولا تقول في نفسك بأني مجنون، فسترى بعينيك تحذيره بنفسك!

صمت لساني عن الحديث ولم أستطع النطق مع الحاج رزاق بكلمة واحدة، فاستأذن مني وتركني بعد أن أعطاني مفتاح الشقة الجديدة والعقد وخرج، وأخذت أفكر في الأمر ونمت في مكاني على الأريكة.

وفي اليوم التالي ذهبت إلى عملي وأخبرت مي أنني سآتي إليها بعد العمل مباشرة، فقد كان هذا اليوم هو عيد ميلادها، انتهيت من عملي وذهبت إلى مكان لبيع الهدايا، اشتريت هدية قيمة وكارت كتبت عليه كلمات بداخلي كتبت فيه:

- لعلكِ لم تكوني حبي الأول كما أخبرتك سابقاً، ولكنني لم أعرف طعم الحب إلا بوجودك في حياتي، أنتِ حبي الوحيد الآن وأنا أكتفي بكِ، دمتِ لي حبيبتي ودام حبك في قلبي يا عشيقتي.

وذهبت إلى معرض لبيع الحلويات واشتريت تورتة جميلة كنت قد اتفقت عليها مسبقاً عليها صورتي وصورتها، استلمتها وذهبت إليها، طرقت الباب وفتحت مي لتفاجأ بي أحمل الهدية والتورتة في يدي، لا أستطيع أن أصف فرحتها آن ذاك، قضيت اليوم معهم بين فرح وضحكات وإطفاء للشموع واستأذنت في آخر الليل للذهاب إلى شقتي، وبينما أنا أسير في الشارع إذ بسيارة مسرعة لا أعرف من أين جاءت وتصطدم بي وتلقيني على الأرض، فينطفئ النور في عيني بعد هذا الاصطدام ولا أعرف أين أنا، نقلت إلى المستشفى بسيارة إسعاف، فقدان في الذاكرة، لم يتم التعرف على السيارة أو من كان يركبها، لم يأت إلى مخيلتي أو تفكيري بعد أيام وبعد عودة ذاكرتي

إليّ إلا كلمات هذا الرجل أو كما يدعوه الحاج رزاق بالساحر الذي مات في غموض، وتوالت عليّ الصدمات والصراعات من جانب وأيضاً النجاح والأفراح من جانب آخر، فلا يوجد شخص على وجه الأرض يعيش حياته بين أفراح فقط ولا أحزان فقط، فالحياة ليس لها طعم إن خلت من الصدمات والصراعات، فإن وصلت معي إلى هنا فأنت من المحببين إلى قلبي وأنا كذلك و يهمك أمري، فجهز فنجان قهوة آخر واستعد تمام الاستعداد، فما مضى لا يأتي إلا جزء بسيط جداً فيما هو آت، فشد الرحال معي واستعد صديقي الحبيب وليكن شعارك معي، لنقطف جواهر عمرنا الثمينة ونعيش حلوها ونترك مرها خلف ظهورنا، فما هو آت آت وما هو ماضٍ مات،

فهيا بنا،

الفصل الثاني عشر

الجميع يعرف أن كلما اقترب الشاب من موعد زواجه زادت عليه الضغوطات ولكن كل هذه الضغوط لها طعم، فمع كل قطرة عرق كانت تسقط على جبيني كنت أشعر بسعادة كبيرة، فأنا ذاك الشاب العصامي الذي بنى نفسه بنفسه، جلست مع نفسي أفكر في أموري وتحدثت مع مي في هذه الأمور وتكلفة الزواج والزفاف والنفقات، فلقد اخذت قرار مع نفسي ألا أحمل أهلي أي مشقة أو أي تكاليف في زواجي، يكفي ما تحملوه من ضغوطات وتكاليف أثناء تعليمي، اتصلت بمي لأناقشها في هذه الأمور،

أنا:

- السلام عليكم كيف حالك يا مي! اشتقت إليك كثيراً.

مي:

- عليك السلام يا معاذ، أنا بخير، وأنا أيضاً اشتقت إليك.

أنا:

- مي أريد أن اناقش معك بعض الأمور!

مي:

- أنا معك يا معاذ، تفض.

أنا:

- ما رأيك إن حجزنا قاعة أصغر لعمل حفل الخطبة وكتب الكتاب، والقاعة الكبرى تكون في حفل الزفاف؟

مي:

- أنا موافقة، وإن كانت الأمور غير جاهزة معك يا معاذ من الممكن أن نفعل حفل كتب الكتاب في مسجد أو دار مناسبات عادي أو من الممكن أيضاً أن نجمع كل شيء في ليلة واحدة.

أنا:

- وكيف ذلك؟

مي:

- أقصد أن نقوم بحجز قاعة ويتم عقد القرآن ولبس الذهب وحفل الزفاف مرة واحدة، ونوفر كل التكاليف مرة واحدة، ما رأيك؟ ولا عليك بأهلي أنا سأقنعهم.

أنا:

- لا أعرف كيف أشكرك يا مي، أقسم لكِ أنني أحبك، مي أتركيها لله وبمشيئة الله سييسر الله حالي ونفعل كل ما نريد فعله.

مي:

- إن شاء الله يا معاذ، لا تشغل بالك بأي شيء، ما تريده ناقشه معي واترك الباقي عليّ.

أنا:

- أحبك كثيراً يا مي.

مي:

- وأنا أيضاً يا معاذ، أريدك أن تجتهد، فأنا أنتظر اليوم الذي سأكون فيه بجوارك.

أنا:

- أقسم لك وأنا أيضاً يا حبيبتي، بمشيئة الله قريباً جداً ستكونين معي.

أخذنا نتحدث كثيراً أنا ومي وطالت المكالمة لساعات حتى نمت وأنا أحدثها دون أن أشعر وقامت بإغلاق الاتصال.

كان لدى مي أحد أقاربها كان يبغضني دون سبب لا أعرف لماذا؟ هل كان يريد أن يتزوجها وأنا قد أخذتها منه؟ لا أعرف! كان شاباً متكبراً جداً وكانوا يهابونه خوفاً من تكبره ومنصبه الذي كان يشغله، ولكني لا يشغلني في شيء لأني تعلمت شيء من أبي من يحترم يُحترم، ذلك الذي كنت أجبره أن يحترمني وإن رأيت منه تكبراً كنت اندمه عليه، فلقد كنت أتكبر أيضاً عليه حتى أجعله لا يطيق الجلوس معي، أخذ (كرم) قريب مي يخطط كيف يخلق المشاكل والمصاعب في طريقي كي يفرق بيني وبين مي، أو يخلق المشكلات بين أهلي وأهل مي حتى نجح بالفعل في بناء مشكلة بين أبي وإخوتي وإخوة مي ووالدها في إحدى المناسبات عندما حضر إخوتي وخلق بينهم مشكلة من لا شيء، أدت إلى نشوب عداوة وضغينة بداخل العائلتين وبعضهما البعض، أخذنا عهداً أنا ومي ووالدتها أن نكمل حياتنا مع بعضنا البعض مهما كانت الظروف والمصاعب ومهما كلفنا الأمر، وصل الحال بأبيها ووالدي أنهم قرروا فسخ الخطوبة بيني وبين مي، وتعبت مي نفسياً وأنا كذلك لدرجة كبيرة وحينما رأى والدها هذا المنظر ووالدتها عقد القران بيني وبين ابنته بحضوره وحضور والدتها وصديقي وأخي دون علم أي أحد ووضع الجميع أمام الأمر الواقع، وقال لي:

- مي الآن زوجتك يا معاذ، وبعد شهر من الآن سنجتمع جميعاً لعمل إشهار في أحد المساجد الكبرى بحضور الجميع، فأنا لا أريد أن أخسر ابنتي ولن أجد من يحبها ولا من تحبه مثلك.

أخذت مي وبدأنا الصراع أنا وهي ووالدتها وأبيها وأخي في حرب حقيقية مع الجميع لمدة شهر وأكثر، حتى هدأت الأمور بعض الشيء واجتمع الجميع وقمنا بالإشهار في أحد المساجد الكبرى، وبعدها ذهبت أنا ومي إلى شقتنا الأساسية ووجدتها حزينة بعض الشيء لوفاة جدتها في فترة ابتعادنا بين عقد القران والإشهار ولم نستطع الحضور ولحزنها أيضاً لأن الجميع حملنا

سبب وفاة جدتها، وأيضاً لأنها كانت تحلم بأن تقيم حفل زفاف، مسحت دموعها بيدي وقلت لها:

- أعدك يا مي سأقوم بحفل زفاف لكِ لم ولن يصنع مثله لا في عائلتي ولا عائلتك وسيكون حديث الجميع إلى أن نموت.

وقبلت رأسها واحتضنتها كطفلة صغيرة في حضن أباها وليس زوجها، فهي طفلتي وحبيبتي وزوجتي ومن تمسكت بي وتمسكت بها رغم كل الظروف التي تمر بنا.

وفي ليلة من الليالي جاءني اتصال غير مجرى حياتي من معاذ إلى معاذ بيه أو رجل الأعمال الصغير معاذ الصعيدي.

شخص مجهول:

- السلام عليكم، أستاذ معاذ معي؟

أنا:

- عليكم السلام، تحت أمر حضرتك يا فندم، من معي؟

الشخص المجهول:

- معك رجل الأعمال مراد بك أبو العزم.

أنا:

- أهلاً وسهلاً بحضرتك يا فندم، تحت أمر معاليك تفضل!

مراد بك:

- رأيت إعلان لك على الفيس بوك بأنك تريد بنزينة للبيع لمشتري جاد للشراء، هل يوجد لديك مشترٍ حقاً؟

أنا:

- صحيح مراد بك، موجود، وأستطيع أن أجلبه لسيادتك غداً، أستأذن معاليك إرسال بيانات البنزينة على رقم الواتس الخاص

بي على نفس الرقم يا فندم وغداً سأكون عندك في الموعد الذي تحدده مع المشتري.

مراد بك:

- أوك أستاذ معاذ، دقائق وسيكون العنوان بكافة التفاصيل عندك، مع السلامة.

أغلقت معه المكالمة وأرسل لي البيانات مع العنوان، وتحدثت مع العميل الآخر وأخذته في اليوم التالي على العنوان المرسل ولله الحمد خلال ثلاثة أيام تمت البيعة ولم أطلب عمولة معينة، فوجئت باتصال من مراد بك:

- أستاذ معاذ أريدك في مكتبي بعد ساعتين فضلاً!

أنا:

- أوامر سيادتك

ذهبت إليه وإذ به يعطيني حقيبة بها مبلغ لم أكن أتوقعه في حياتي ويخرج عقداً لتوقيعه معه لأكون أصغر نائب لمدير تسويق لديه في شركته،

- يا إلهي، كل هذا لي! ماذا فعلت لكل هذا مراد بك! أنا لا استحق كل هذا.

مراد بك:

- يا معاذ أنت أوصلتني بالمشتري وتركت الأمر كله لله ووثقت بي وأنت لا تعرفني من قبل، وهذه مكافأة صغيرة لأمانتك يا معاذ وحسن خلقك وطيب كلماتك ولسانك، من الآن وأنت في منصب نائباً لمدير التسويق في الشركة، مباركاً لك يا معاذ منصبك الجديد ومباركاً لنا يا بني أننا اكتسبنا شاباً اليوم حسن اللسان ذو حضور جيد في معاملاته، تستطيع مباشرة عملك من الغد إن أحببت ذلك.

لا استطيع وصف السعادة التي تغمرني في داخل قلبي الآن، لم أذهب إلى الشقة مباشرة، ذهبت إلى مكان لبيع المصوغات والمجوهرات وقمت بشراء هدية ذهبية لزوجتي مي، هدية لأسعدها لما رزقنا الله به في أول عمل جديد بعد زواجي بها، اشتريت لها هدية قيمة وطرقت الباب وكانت والدتها آن ذاك معها في الشقة، فتحت الباب مي بعد سماع صوتي، احتضنتها وقبلت يدها ورأسها وصرت ألف بها وأدور في الشقة بأكملها من شدة الفرح، وهن يستغربن ماذا بي؟ وقفت وأعطيتها هديتها وأخذتها غرفة النوم هي ووالدتها وأفرغت حقيبة الأموال أمامهما، نظرا في سعادة واستغرب،

- ما هذا؟ ما كل هذه الأموال؟ من أين جئت بها؟

قلت لها:

- أحضري الطعام يا حماتي أولاً ونجلس ونتحدث.

ذهبت مسرعة وأحضرت الطعام وجلسنا نتحدث وقصصت لهم ما حدث بالتفاصيل المملة، فرحن كثيراً وباركن لي ما حدث.

قلت لها:

- من الغد جهزي نفسك يا مي لنأخذ شقة جديدة كما التي كنتي تحلمين بها، فهذا كله بفضل الله ثم دعواتك ووجودك في حياتي.

فرحت كثيراً وقد كان منذ اليوم التالي خرجت أنا لأناوب عملي الجديد وبعد العودة من عملي خرجنا لنبحث عن شقة جديدة ودفعنا الدفعة الأولى من ثمنها ونزلنا لحجز العفش أيضاً الجديد الذي كانت تحلم به، وبعد العودة من كل هذا وجدت والدتها جالسة حزينة بعض الشيء فجالستها اسألها:

- ماذا بك يا حماتي؟

قالت:

- ابني الأكبر عليه ديون كثيرة في الخارج ولا يستطيع النزول إلى مصر بسبب تلك الديون، ولديه شقة في مصر ولا يستطيع بيعها، فكنت آمل أن تستطيع بيعها له لكي نرسل له مبلغ يسدد ديونه ويستطيع النزول إلى مصر، وباقي المبلغ يضعه في حسابه أو أي مشروع في مصر.

قلت لها:

- لا عليكِ، اعتبري هذا الأمر منتهياً بمشيئة الله، وإن لم أجد عميل يشتري شقته بسبب المشكلات التي عليها في الاستلام سأرسل له أنا مبلغ الديون التي عليه، ووقت نزوله يبيع شقته على راحته ويعطيني المبلغ.

قالت:

- حقاً يا معاذ؟ أتحدثني بصدق؟

قلت لها:

- والله أحدثك بصدق.

وبالفعل أرسلت له المبلغ ولم يكن بالمبلغ الهين، كان مبلغاً ليس بالقليل، شكرتني حماتي كثيراً وكذلك مي على وقوفي بجانب أخيها وقالت:

- هو سيأتي إلى مصر خلال شهر ويشكرك بنفسه.

قلت لها:

- لا تجعليه يأتي إلى مصر، نحن سنسافر إليه يا مي، وبالمرة نتنزه ونقضي شهر العسل مع بعضنا البعض.

فرحت مي كثيراً وخلال أيام استخرجنا الأوراق اللازمة وطلبت من مراد بك أن يكون عملي حر لا يرتبط بوجودي بمقر الشركة ووافق على ذلك، وسافرنا أنا ومي ووالدتها في رحلة إلى دولة عربية جميلة، المكان الذي يوجد

به أخاها واستقبلنا أفضل استقبال، وكيف لا وأنا المقرب إليه الآن، أنا من أخرجته من مأزق لم يقف أقرب الأقربين معه فيه!

نزلنا في أحد الفنادق أنا ومي، وأخذ أخوها والدتها معه في شقته لأنه كان متزوج، ولا يصح أن أجلس معه في نفس الشقة، هذه عاداتنا. قضيت أنا ومي أسعد أيام حياتنا وبعد مرور ثلاثة أيام في رحلتنا قررت أنا وأخوها فتح شركة صغيرة للاستثمار والتسويق العقاري في هذه الدولة، فأنا لدي الخبرة في هذا المجال وهو أيضاً له خبرة كبيرة في هذا المجال قرابة العشر سنوات خبرة، ذهبنا إلى مكتب لتسهيل الإجراءات وبالفعل خلال هذه الفترة قمنا بتأسيس الشركة وقمت بعمل توكيل عام بالإدارة لأخيها؛ لأني لن أقيم هنا ويجب أن أعود إلى مصر لأباشر عملي ولأكون بجوار أهلي أيضاً، عدنا إلى مصر ووصلت إلى كثير من العلاقات بين مجموعة من رجال الأعمال والمستثمرين الكبار وأصبحت في فترة صغيرة جداً من الناجحين وتغيرت حياتي ووصلت إلى جزء كبير من أهدافي وأصبح الجميع يتقرب مني حتى ولو من بعيد.

عدت إلى قريتي في زيارة إلى بيت أبي ولكن هذه المرة كانت شبة زيارة رسمية، فكانت معي سيارات خاصة بالعمل، ففعلت ضجة كبيرة في قريتي وسيارات فخمة جداً والكل ينظر من هذا ومن هؤلاء؟ وإذ بالسيارة تقف أمام منزل العائلة ويفتح الباب وأخرج من السيارة وسط ذهول من الجميع،

- ما هذا؟ إنه معاذ!

وأخذ الجميع يتقرب مني حتى الأشخاص الذين قاموا بإيذائي في مستقبلي حضروا لينافقوني! ما أجمل هذا الشعور وما أعظم الفخر والعزة عندما يأتيك عدوك منكسراً لنجاحك، وما أجمل وأعظم نظرات العزة والكرامة والفخر التي تراها في عين من يحبك عندما يراك ناجحاً شتان بين هذا وذاك.

احتضنني أبي وأمي وإخوتي وكذلك أهلي وتذكرت حينها وقت نجاحي السابق في كل شيء ولكن هذه المرة كان الشعور مختلف بعض الشيء، فاليوم جئت بشكلٍ مختلف، كانت إجازة سريعة فقط ليوم واحد تبادلت فيه مع أبي وأمي وإخوتي الكثير من الأحداث والتطورات التي حدثت لي وكيف وصلت لما أنا فيه الآن، وفي نهاية اليوم جاء الوداع الحار وعدت إلى القاهرة مرة أخرى بعد أن وعدني أبي وأمي وإخوتي أن يأتون إليّ بعد أيام للجلوس معي أيام في منزلي في القاهرة.

وعدنا كما ذهبنا وتوالت عليّ الاتصالات والمشاغل والكثير من الضغوطات في العمل ولكني كنت ناجحاً جداً في الفصل بين عملي وحياتي الأسرية، فكنت أفصل بين هذا وذاك، وفي أحد الأيام كنت أجلس أنا ومي في بيت أخيها هيثم بعد توطيد وإعادة العلاقات مرة أخرى وإذ بها تأتي إليّ مسرعة من الداخل:

- يا معاذ، معاذ!

وصوتها يعلو ويعلو وينتابها الفرح حتى سقط فنجان القهوة من يدي وتركت الغرفة مسرعاً للخارج لأرى ماذا بها؟

الفصل الثالث عشر

- ماذا بكِ يا مي؟

مي:

- معاذ أنا حامل، حامل!

وهي تمسك بيدها اختباراً للحمل يظهر به شرطتين تؤكدا الحمل، وإذ بي لا أجد إلا نفسي احتضنها وأبكي فكم كنت أقول:

- أحلم بأن أحمل طفلاً منك يا مي، ويا إلهي إن كان يشبهك.

كم كنت أحلم بهذا اليوم وها هو يتحقق أمامي، فاضت عيناي بالدموع وهي كذلك ولا أستطيع أن أخرجها من حضني ومن بين يدي، فأصبح كل من يحضرنا تفيض عينيه بالدموع ويحتضننا وكأن المشهد كلاعبي كرة القدم عندما يحتضنون لاعباً أحرز هدفاً، صرت أقبل يدها ورأسها وأقول لها:

- ألف مبروك ألف ألف مليون مبروك يا حبيبتي، من الآن إياك أن تتحركي أو تحملين أي شيء، أنا من سيفعل لكِ كل شيء ووالدتك معك وقت عملي أفهمتِ وسمعتِ كلماتي؟

أخذ الكل يبارك لنا، واتصلت بأمي لأفرحها، فكم كانت تنتظر سماع هذا الخبر، فها هو معاذ ابنها الصغير آخر العنقود سيرزقه الله بمولود جديد يا لها من فرحة عمت أرجاء المكان وقلوب الجميع.

طيلة الثلاثة شهور لا تتحرك إلا على الطبيب فقط، ونتحرك لشراء ملابس طفلنا القادم وتجهيز غرفته الصغيرة الجميلة، وذات ليلة سهرنا نضحك ونتبادل الحديث والمواقف المضحكة ونمنا، وإذ بي أرى أننا في مستشفى ومي تبكي ورأيت الشيخ الذي قابلني في مسجد الحسين يقول لي:

- لمَ تبكي زوجتك؟

قلت له:

- تبكي على فقدان ولدها.

قال:

- أتبكي على ولدها وهو ذاهب لرسول الله صل الله عليه وسلم!

ودخل الغرفة وأخذ ابننا في معطف أبيض اللون ملفوف به وخرج من المستشفى وعاد إليّ بطفلين وقال لي:

- هذا ولدك ولكن ليس ولدها وهذا الثاني هدية الرسول لك.

قلت في المنام، صل الله عليه وسلم واستيقظت من نومي على آذان الفجر، استيقظت صليت الفجر وصرت جالس على الأريكة بجوار السرير حتى الصباح، استيقظت هي فوجدتني جالس مكاني، طرقت والدتها الباب قلت لها:

- أدخلي يا حماتي

فدخلت حماتي:

- ما هذا هل استيقظتما؟ ماذا بكما هل حدث شيء؟

قلت لها:

- لا، يجب أن نذهب للطبيب اليوم بمي، فقلبي ليس مطمئن.

قالت:

- لماذا يا معاذ! ماذا حدث؟

قلت لها:

- حلمت بكذا وكذا يا حماتي.

رأيت علامات الدهشة والفزع على وجه والدتها، فهي تعلم أيضاً أنني إذا رأيت شيء في منامي لابد وشيء يحدث، خرجت من غرفتي بعد أخذ حمام ساخن وتناولنا وجبة الإفطار معاً واتصلت بالطبيب فأخبرني أن أذهب إليه بمي إلى المستشفى الخاصة به خلال ساعتين ونصف من الآن، وبالفعل

أخذتها وذهبنا، دخلنا غرفة الفحص الطبي ووقع عليها الكشف وبعض الفحوصات وإذ به يجد النبض متوقف بالجنين!

الطبيب:

- أنا آسف، النبض متوقف ويجب إجراء عملية تفريغ غداً للرحم، لا تحزنوا سيعوضكم الله بكل خير إن شاء الله.

نظرت إليها حتى لا تحزن وقلت لها:

- الحمد لله أخذ الشر وراح، أهم شيء عندي هي مي، نحن ما زلنا صغاراً والعمر أمامنا إن شاء الله والمرة القادمة ستحملين إن شاء الله بتوأم، فاستعدي.

وضحكت في وجهها، أنهيت كل الإجراءات مع الطبيب وذهبنا إلى المنزل وأخذت أضاحكها حتى لا تفكر في أي شيء واتفقت أنا وأخيها هيثم أننا سنذهب إلى إجراء العملية غداً وسأعطيه مفتاح الشقة لكي يجهزها لمفاجأة سأخبره بها، لأفاجئ بها مي عند عودتنا للمنزل بعد إجراء عملية التفريغ إن شاء الله.

في اليوم التالي استيقظنا مبكراً جداً لكي نستعد للذهاب وذهب معنا هيثم، ودخلت مي غرفة العمليات وبعد أقل من ساعة خرج الطبيب وقال:

- الحمد لله نجحت العملية وهي الآن في الافاقة وبعد قليل ستخرج.

ذهب هيثم إلى الشقة لتجهيز ما أخبرته به، خرجت مي من غرفة العمليات لتجدني أخبرها:

- مي، قد قررت عمل حفل زفاف ضخم لي ولكي في دار خاص بالقوات المسلحة وقاعة كبرى وستكون ليلة كبرى وسيحييها بعض المطربين أيضاً.

مي:

- لا حرمني الله منك يا معاذ أسعدت قلبي أدامك الله في حياتي.

اخيها سالم:

- أحضر لكم شجرة وكأسين من الليمون ونذهب نحن!

وأخذنا نضحك جميعاً حتى استفاقت كلياً من جرعة البنج وخرجنا من المستشفى وذهبنا إلى الشقة وفتحنا الباب لتجد نفسها أمام هذا المنظر، طرقة من الورد محاطة بالشموع الملونة والبالون المملوء بغاز الهيليوم الطائر والورود المبعثرة في كل مكان وشقتنا دوبلكس من طابقين أيضاً درجات السلم محاطة بالشموع والبالون المملوء بغاز الهيليوم والورود المبعثرة، لتجد نفسها بعد ذلك في نهاية هذه الطرقة في غرفة النوم والورد المبعثرة في كل مكان وبوكيه من الورد الأحمر والموڤ على السرير وطاقم من الذهب الأبيض في وسط بوكيه الورد ومكتوب على حافة السرير، «أنتِ زوجتي وابنتي وولدي، ولا أريد من الدنيا إلا أنتِ، فلا حرمني الله منكِ يا محبوبتي وعشيقتي»

ارتمت في حضني وهي تبكي من شدة الفرح وروعة المنظر، ومن جمال المنظر جعلته على وضعه لأكثر من ثلاثة أيام حتى ذبلت الورود وفرغت البلالين من الغاز الذي بداخلها، وصرنا نستعد لحفل الزفاف الذي أخبرتها به؛ لأعوضها الفرحة التي فقدتها في بداية زواجنا والتي كانت ولا زالت تحلم بها.

الفصل الرابع عشر

ذهبنا أنا ومي ووالدتها وأخيها لحجز القاعة والاستعداد للتجهيزات النهائية، اشتريت بدلتي السوداء بقميصي الأبيض، ومي قامت بتفصيل فستانها الصك الجميل عند أحد أشهر مصممي الأزياء في مصر، وحقاً كان جميلاً جداً عليها، ذهبنا لحجز «الميك آب أرتيست» وأيضاً عند أحد أشهر

المحترفين في المجال، كنت أنظر إلى عينيها في كل خطوة نخطوها وأرى الفرحة فيها وكأني أملك الدنيا حينها، قمنا باختيار التصميم الخاص بكروت الدعوة الخاصة بالحفل وتوزيعها على المدعوين، وكان من ضمن المدعوين بعض الشخصيات العامة والمشهورة في كثير من المجالات وكثير من القيادات الأمنية، وجاء يوم الحفل، الجميع داخل القاعة ينتظر حضورنا وأنا أمام الغرفة الخاصة بمي داخل الفندق أنتظر الإذن بالدخول لأراها بفستان الزفاف، هي حقاً زوجتي ولكن الشعور الذي أشعر به الآن وكأني لم أدخل بها من قبل وكأني ولأول مرة سألتقي بها في بيت واحد، وأخيراً.، فتح الباب وتم إعطائي الإذن بالدخول، وإذ بي أرى مي من ظهرها لتلتف لأجد القمر في ليلة البدر مكتملاً، لم أستطع فعل أي شيء، يا ربي ما هذا الجمال وكأني أراها للمرة الأولى، حقاً في غاية الجمال، احتضنتها وقبلت رأسها وأخذتها في يدي لتبدأ مراسم الدخول للقاعة بإخلاء الطرقات من الجميع والكل ينتظر بالداخل وتفتح القاعة على إحدى الأغاني الجميلة لينظر الجميع منبهراً من جمال طلتنا، الجميع قد حضر، الأهل والأصدقاء والأحباب والشخصيات الهامة والأمة، ورأيت الفرحة في عين أبي وأمي، نعم الفرحة التي لطالما كنت أحلم بها، نعم فهما لم يشعرا بتلك الفرحة وبهذا الجمال من قبل، فرحة كبرى فأنا معاذ وهذه فرحتي وبهذا القدر من الفخر وسط هذا الجمع من أهل قريتي ومدينتي أجمع، وأيضاً وسط أهل مي جميعاً، فهذه الفرحة كالسهم القاتل في صدر من يكن لنا كل حقد وكره، وأخذ الكل يرقص ويضحك وكانت ليلة جميلة واحتفلت بعيد ميلاد مي أيضاً في هذه الليلة ووسط الجميع لتكون الفرحة فرحان، وانتهت الليلة بسلام وأمان وفرح، والكل يشهد بأنها الليلة المعهودة التي لم ولن تأتي ليلة مثلها في كلا العائلتين، وبعد الذهاب مرة أخرى إلى جناح الفندق الذي قد قمت بحجزه لنا أنا ومي قالت لي مي:

- شكراً لك يا معاذ فقد عاهدتني ووفيت بوعدك لي، فحقاً أنت نعم الزوج ونعم الحبيب، حفظك الله لي يا حبيبي ولا يحرمني الله منك.

وقضينا أجمل الليالي الزوجية أنا ومي وكأننا عريس وعروس لأول مرة؛ فهي أصبحت أميرة في حياتي وأنا أميرها.

الفصل الخامس عشر

انتهت ليلة الزفاف بكل ما فيها من فرح وسرور، وجددنا العهد بيني وبين مي في كل أمور حياتنا، وتركنا جناح الفندق وعدنا إلى شقتنا مرة أخرى لنجد والدتها حزينة جداً وينتابها الحزن والأسى، جلسنا وسألتها:

- ماذا بك يا حماتي؟

وهي تحتضن فيها وتسأل:

- ماذا حدث يا ماما! أخبريني؟

قالت:

- حدث بيني وبين أباكِ مشكلة كبيرة ولا أستطيع العودة مرة أخرى إلى المنزل يا مي، هل تتحملوني بالجلوس معكم لأيام حتى أهدأ؟

قلت لها:

- أكيد هذا بيتك، وإن لم تحملك الأرض أضعك فوق رأسي، فأنت بمكانة أمي بالضبط، هيا قفي من مكانك واغسلي وجهك من الدموع ولنذهب جميعاً لنقضي اليوم بالخارج؛ لتنسي ما حدث لكِ مع زوجك وإن أحببت أن تحكي لنا ما حدث فاحكي لنا في جو خارجي حتى لا تبكي وسط الغرباء.

وضحكنا وتجهزنا جميعاً وخرجنا في نزهة جميلة، وبدأت تحكي لنا ما حدث لها مع زوجها وكان حقاً الأمر صعب ولا يستهان به، فقلت لها:

- ماذا تريدين؟

قالت:

- سأقص الأمر على أبنائي وأسافر لابني الأكبر في الخارج لأعيش معه.

قلت لها:

- قصي عليهم الأمر وبيتي بيتك وأنا كأحد أبناءك، لن تضطري للسفر للخارج لكي تبتعدي عن زوجك، اخزي شيطانك ونفسك وسوف تهدأ الأمور رويداً رويداً وستعود المياه إلى مجراها الطبيعي في يوم من الأيام.

وبالفعل قضت معنا أيام وليالي طويلة حتى جاء لي وقتاً ويجب أن أسافر فيه فجأة لظروف عملي، وفي هذا اليوم تعبت مي كثيراً وذهبنا بها إلى الطبيب حتى ظن الجميع أنها حملت مرة أخرى، وإذ بالطبيب يقول:

- لا تقلق أستاذ معاذ فهذه اضطرابات في الهرمونات ولكن يجب عمل هذه الفحوصات للضرورة لكي نطمئن أكثر على مدام مي.

أجلت سفري للاطمئنان أولاً على مي وذهبنا لعمل الفحوصات، انتهينا من إجراء الفحوصات وظهرت نتائجها التي صدمتني أنا ووالدتها، نظر الطبيب إليّ أنا ووالدتها وأخبرني بأن الفحوصات الطبية سليمة ولا يوجد بها أي شيء، ولكن نظراته تشعرنا بأن هناك شيء ما لا يود إخبارنا به الآن! خرجنا جميعاً وفي اليوم الثاني حددت موعد معه وأخذت مي أوصلتها إلى بيت صديقة لها كانت مقربة منها جداً تدعى سارة وأخذت والدتها وذهبنا إلى الطبيب، دخلت أنا ووالدتها إلى الطبيب لنطمئن ماذا يوجد في الفحوصات؟

قال:

- آسف جداً هناك نقص كبير في مخزون المبيض لدى مدام مي وللأسف الشديد هذا يحدث لدى السيدات التي تصل إلى عمر اليأس كما نسميه، فالنقص في المخزون كبير جداً حتى وإن أجرينا الآن عملية حقن مجهري نسبة نجاحها لن تتخطى ال5% فيؤسفني أن أقول لكم أن هذا يسمى عقم مبكر.

ضربت والدتها على صدرها من هول وشدة الخبر، وقلت له:

- الحمد لله يا دكتور، قدر الله وما شاء فعل، الله قادر على كل شيء؛ فأخي الأكبر ظل لا ينجب مع زوجته أكثر من عشرين عاماً ورزقه الله بمولود بعد عشرون عاماً من الزواج، فالله لا يعجزه شيء، ولكن أخبرني هل هنالك شيء نستطيع فعله الآن مهما كلف الأمر؟

قال:

- نعم يوجد بعض الأدوية المستوردة التي تساعد على تزايد مخزون المبيض حتى ولو بنسبة طفيفة جداً، ولكن سنفعل ما علينا فعله والتوفيق على الله.

قلت له:

- وأنا مستعد ولكن رجاء لا أريد مي أن تعرف كل ما دار بيننا الآن رجاء، حتى لا تحزن أو يكسر بخاطرها.

وتعاهدت أنا والطبيب ووالدتها ألا نخبر مي وأن الأدوية التي ستأخذها على أنها أدوية لمعالجة اضطراب الهرمونات لديها فقط ليس أكثر، وفي الطريق والدتها أخذت تبكي وتقول لي:

- معاذ أرجوك لا تترك مي، مي تحبك يا معاذ.

قلت لها:

- يا حماتي لقد رأيت مي قبل ما أرى من ستنجبه وأحببت مي من قبل أن تنجب، فهي زوجتي وابني وابنتي، وأقسم لكِ أنني لن أتخلى عنها، ولو فكرت في ذلك ما كنت تعاهدت معكِ والطبيب ألا نخبرها بذلك.

فوجدت والدتها تحتضنني حضن الأم لولدها وتشكرني على شعوري بابنتها، ذهبنا في طريقنا وأخذنا مي من منزل صديقتها وأحضرت لها هدية وأنا في طريقي أعجبتها كثيراً وفرحت بها، وأخذت عهداً على نفسي منذ ذلك الوقت أن أعاملها وكأن العيب في أنا وليس هي، حتى لا أشعر بأي تقصير منها ولا أبغض العيش معها مهما حدث.

بعد أيام قليلة بدأنا في بروتوكول العلاج الذي أخبرنا به الطبيب لمي وكان باهظ الثمن ولكن كل شيء لا يساوي فرحة كالتي رأيتها في عين مي يوم حملها الأول، ودعوت الله لها بالشفاء لأرى فرحتها أكثر من أن أرى طفلاً لي.

بدأت حياتنا تتطور بعض الشيء وعملي ينمو وعلاقاتي تعلو أكثر فأكثر، وكنا نسافر هنا وهناك وكانت حياتنا مليئة بالفرح والسعادة والسرور حتى بدأت أشارك إخوة مي في بعض المشاريع، أنا كعادتي أحب العمل وأحب أن أجازف كثيراً، فالحياة تجارب ولكن كنت أحب أن أتعلم كثيراً من كلمات أبي وآخذها نصب عيني في كل شيء إلا هذه المرة، دائماً أبي كان يقول لي،

- من كنت تريد أن تدوم محبتك وعشرتك معه لا تشاركه في الأمور المادية أبداً.

لم أفهم كلمات والدي في وقتها ولكن فهمتها عندما شاركت إخوة مي في بعض الأمور، فبدأوا يتدخلون في حياتنا أكثر من اللازم وخصوصاً بوجود والدتها معنا في منزل واحد، أتاح لهم الفرصة الأكبر في التدخل في خصوصيتنا أكثر فأكثر، بدأت علاقتي بمي تنشب فيها بعض الاحتكاكات

البسيطة ولكن سرعان ما كنت أحتوي الأمر ببعض الضحكات والابتسامات، فكنت هادئ جداً وكاظماً للغيظ في كل الأمور، حياتي مع مي حياة والد يحب طفلته ولا يحب أن يرفض لها طلباً قط، وحياتي بها تعمها الثقة الكبيرة، فمن المستحيل أن يدخل الشك في علاقتي بمي نهائياً، هاتفي بكلمات السر لجميع المواقع الخاصة بي معها وكذلك هي ولكني كنت أرفض أن أحتفظ بالحسابات الخاصة بها أو أفتحها بالرغم من أنها كانت تخبرني بها ولكن كنت أحب أن تكون لها خصوصيتها الخاصة بها مع صديقاتها، فكانت حياتنا مبنية على الثقة والاحترام المتبادل بيني وبينها، قالت لي مي في يوم من الايام:

- معاذ أريد أن أفتح مشروعي الخاص بي وستكون صديقتي سارة معي في كل خطوة؟

قلت لها:

- ليس عندي أي مانع في أي شيء، ولكن لماذا تريدين فتح مشروع! هل تريدين أموال أم لكسب الخبرة أم لماذا؟

قالت:

- لا فقط لتسلية وقتي في الوقت الذي تكون أنت مشغول فيه، وفي نفس الوقت لكسب الخبرة لأكون معك بعد ذلك في كل أعمالك.

قلت لها:

- إن شاء الله يا حبيبتي، أخبريني بكل ما تريدينه وأنا سأقوم بعمل دراسة جدوى كاملة ونبدأ بالتنفيذ.

فرحت مي كثيراً بموافقتي على قرارها واتصلت بسارة وأخبرتها، وخلال أيام بدأنا في التنفيذ ومنذ أن بدأ العمل في المشروع الجديد وهي سعيدة ولكن في نهاية اليوم تكون منهكة جداً من اليوم الشاق، فكنت أشفق عليها من هذا الأمر ولكن انبساطها كان يسعدني، فكنت أتخطى كل شيء لأجل سعادتها،

ولكن بدأ التغير معي وقل اهتمامها بي بعض الشيء وأنا من النوع لا أحب العتاب على قلة الاهتمام، فالاهتمام إن طلب لا يلزمني في شيء، كنت أخرج ضيق صدري في فنجان قهوتي وبعض أنفاس السيجار الخاص بي، فمن ضغط العمل وبعض الصداقات تعلمت أن أدخن في بعض الأحيان، ولكن في الأوقات الأخيرة بدأ التدخين يزيد معي وكذلك القهوة والسهر من شدة التفكير، فأنا لا أعرف ماذا حدث وماذا يحدث؟

الفصل السادس عشر

بدأت حياتي معها تشوبها بعض المتاعب والحزن بعض الشيء؛ بسبب ما بدأ يتصاعد بيني وبين إخوتها وأهلها من متاعب في العمل وتدخلهم في حياتنا وإظهار والدتها الحزن أمامها متعمدة ذلك حتى تؤثر على مي لتضغط عليّ في بعض القرارات، فهي تعلم كم أحب مي، ولكن للأسف كل هذا أثر على حياتي معها، فبدأ الاهتمام يقل رويداً رويداً بيني وبين مي ولا أعرف ماذا أفعل في هذا الوقت؟

ضغوطات نفسية كبيرة جداً جداً، تفكير مستمر، لا أعلم مع من أتحدث؟ أهلي؟ لا أريد أن أدخل أحداً منهم في مشاكلي الشخصية، وخصوصاً أنني قد خضت التحدي ضد الجميع لكي أحظى في النهاية بزواجي بمي، يا إلهي ما كل هذا الضغط الذي ينتابني! فأنا لا أستطيع التحمل،

اتصلت بأقرب صديق لي في هذا الوقت وكان يعمل معي أيضاً وكان صديقاً للأسرة بأكملها؛ لكي أفضفض معه وأخرج ما في قلبي، فأنا حقاً لا أستطيع أن أتحمل كل هذا وحدي ولا أعرف ما سأفعل؟

مي في هذا اليوم أخبرتني أنها سوف تخرج لمقابلة إحدى صديقاتها للذهاب معها لحفل عيد ميلاد صديقة لهن، وافقتها وقلت لها أنني سأرسل معها السائق الخاص بنا لكي يوصلها، فرفضت وقالت بأنها ستذهب مع صديقتها في سيارة أخرى؛ لأن صديقتها لا تتحمل الذهاب مع سائقنا لثقل دمه، فلم أمانع وقلت أنها فرصة أيضاً لمقابلة صديقي (محمود) للتحدث معه، اتصلت بمحمود وحددت معه موعد لمقابلتي في مكان محبب إلينا، ذهبت وانتظرته وبعد دقائق من انتظاري وصل محمود أخيراً،

أنا:

- حمداً لله على سلامتك يا محمود، لمَ التأخير لعله خير!

محمود:

- أنت تعرف الطريق وشوارع القاهرة في هذا الوقت بالتحديد.

أنا:

- أكيد أعرفها جيداً، فلكي تستطيع أن تسير هنا فأنت تحتاج إلى طائرة هليكوبتر وليس سيارة.

محمود ضاحكاً:

- بل صاروخ أو مركبة فضائية يا معاذ.

أنا:

- أجل يا صديقي معك حق.

محمود:

- ماذا بك يا معاذ! فحالك لا يعجبني منذ أيام، فعقلك مشغول ويظهر عليك ذلك طوال الوقت، حتى أثناء الجلوس في الاجتماعات الخاصة بالعمل مع أي رجل أعمال نجلس معه فذهنك لا يكون حاضراً معنا على غير العادة، ماذا بك يا معاذ؟

أنا:

- والله يا محمود لن أخفي عليك شيء، فأنت أخي ولا أجد من أحدثه فيما بداخلي، فعقلي أوشك على الانفجار.

محمود:

- أخبرني يا معاذ فأنا معك، ماذا يحدث معك؟

أنا:

- مي يا محمود، حالها متغير معي منذ فترة ولا أعرف ما السبب! ولكني أرجح ما وراء ذلك هم أهلها وليس هي، فأهلها يضغطون عليها في أمور كثيرة ويدخلونها في أشياء كثيرة حتى تضغط علي

فيها، فهم يعلمون كم أحبها ويستغلون هذه النقطة كنقطة ضعف لي ولا أعرف ماذا أفعل يا محمود؟ ولا أريد أن أتخذ قراراً بمنعها عن أهلها فاندم فيما بعد، فأخبرني يا صديقي لعلك تنبهني لأمور تخفى عليّ.

محمود:

- اسمعني يا معاذ جيداً، أريدك أن تجمعهم جميعاً وأن تجلس معهم وتطلب من الجميع بحضور مي أن يخرجوا مي من كل الأمور المادية والعملية التي بينك وبينهم، حتى لا تخلق المشاكل بينك وبين زوجتك، هذا أول شيء تفعله، ثاني أمر أريدك أن تفعله هو أن تجلس أنت ومي وحدكما وتشرح لها كل الأمور ببساطة، فزوجتك يا معاذ صغيرة ولا تدرك معظم الأمور، فراعي هذه النقطة جيداً وأنت تعلم كم هي تحبك، ثالث أمر يا صديقي وأريدك أن تركز عليه جيداً لا تترك الحبل كلياً.

أنا:

- لا أفهم آخر كلمات لك يا محمود! ماذا تقصد؟

محمود:

- أقصد أي لا تعطي زوجتك كامل الحرية كما الآن وتوافقها على كل القرارات لمجرد أنك تحبها حتى لا تندم فيما بعد يا معاذ وتقول يا ليتني فعلت وفعلت، وخذ هذه الكلمة من أخيك وليس صديقك فقط وأبدأ من اليوم صفحة جديدة ولا تفكر وحدك مرة أخرى واتصل بي في أي وقت فأنا موجود، وهيا اطلب لنا شيء نشربه لأنك نسيت أن تطلب لنا أي شيء يا بخيل.

أخذنا نتحدث ونضحك وكأن جبلاً أزيح من على صدري بعد الحديث مع محمود صديقي، اتصلت بمي فلم تجب على الاتصال مرات ومرات، اتصلت

بوالدتها قالت إنها حدثتها وقالت لها أنها مع صديقاتها وربما لا تسمع الهاتف الآن، تركت محمود وذهبت إلى البيت والوقت قد تأخر ومي لا تجيب على اتصالاتي واتصالات والدتها! وبعد اتصالات مرات ومرات وإذ بها ترد أخيراً بأنها قادمة في الطريق ولم تسمع الهاتف أثناء الاتصال بها في كل المرات السابقة.

عادت مي إلى المنزل وكنت غضبان كثيراً من داخلي ولم أظهر لها ذلك الغضب حتى لا أعكر مزاجها وهي عائدة فرحة الآن، سألتها:

- كيف كانت الليلة؟

قالت:

- كانت جميلة جداً يا معاذ، وكانت تنقصك حقاً.

قلت لها:

- أهم شيء أنك فرحة يا حبيبتي وكل عام وأنت وصديقتك بخير.

مي:

- وأنت بألف خير يا حبيبي، أنا متعبة جداً وأريد أن أنام، سأذهب لأخذ حمام دافئ وأنام، تصبحون على خير.

لم تسألني عن شيء، هل أكلت؟ كيف كان يومي؟ لم تسألني عن شيء قط! كتمت في نفسي ونظرت إلى والدتها بعدما دخلت مي غرفة النوم، وجلست مع والدتها أتحدث في بعض الأمور التي تضايقني، وكانت كل مبرراتها بأن مي صغيرة في العمر وتريد من يشرح لها كل شيء بأسلوب مرن، قلت لها:

- حاضر يا حماتي وأنا سأقوم بذلك ولكن رجاء أريدكم ألا تدخلوها في أي أمر من الأمور التي تخصنا أيا كانت.

قالت:

- حاضر يا معاذ

استأذنت منها لأدخل لأستريح وقلبي لا يطمئن، وأشعر بأن هناك شيء غريب في مي ولا أعلم ما هو وأتذكر هذا اليوم جيداً كان يوم الثامن من شهر يناير عام 2020، دخلت إلى غرفتي لأجد مي قد أخذت الحمام الدافئ الخاص بها وقد نامت بالفعل ولم تنتظرني حتى أدخل الغرفة، غيرت ملابسي وارتديت ملابس النوم والقيت بجسدي على السرير بجوارها ولأول مرة في حياتي أشعر بأني أنام بجوار فتاة غريبة لا أعرفها! قمت من مكاني وجلست على الأريكة بجوار السرير أفكر ولا أستطيع النوم نهائياً، فتفكيري ينحصر بين شقين، الأول، ما الذي حدث مني كي يحول كل هذا وحياتنا إلى هذا الشكل؟ ولم أجد الإجابة، فأنا لم أقصر في حقها أو حق أي أحد من أهلها في يوم من الأيام، والشق الثاني، أنا من فعلت كل هذا بنفسي وبزوجتي حينما جعلت كل من حولنا يتدخل في حياتنا، وأيضاً عندما أعطيت مي كامل الحرية في كل تصرفاتها دون أن أحاسبها على شيء.

أخذ عقلي يفكر ويفكر حتى سمعت قرآن الفجر يعلو ويقرأ، يا إلهي الوقت مضى مسرعاً لهذا الحد، قمت وتوضأت وصليت الفجر وأخذت أدعو الله أن يريح قلبي وصدري وأن يظهر لي حقيقة كل ما أفكر به وكل من حولي، انتهيت من الصلاة ووضعت رأسي على الأريكة وذهبت في النوم لأستيقظ في صباح يوم التاسع من يناير عام 2020 اليوم،

الفصل السابع عشر

استيقظت في هذا اليوم وأشعر بشيء غريب بداخلي، شعور لم أشعر به من قبل لا أستطيع وصفه بكلمات، فما زال التفكير يتحكم في رأسي، خرجت إلى الشرفة ونظرت إلى السماء وكانت الشمس لا تظهر من كثرة الغيوم وكأنها مختنقة أو مرتدية عباءة من السحاب والغيوم، والجو بأكمله في حالة من الحزن والاكتئاب، حتى الطيور التي كنت أعتاد على سماع أصواتها كل صباح وأستبشر بها هاجرتني في هذا اليوم، وكأن كل شيء حولي ينبهني بشيء مخلفٍ سوف يحدث! كانت الساعة السادسة والنصف صباحاً، الموعد الذي أستيقظ فيه في اليوم الذي يكون مليء بالمواعيد الخاصة بعملي فأحب أن أستيقظ مبكراً، فأنا دائماً مؤمناً بالمقولة التي تقول أن الأرزاق توزع على البشر في الصباح الباكر، دخلت من الشرفة ووقفت أمام السرير أنظر إلى مي وأحدث نفسي وأحدثها أيضاً ولكن الكلمات بداخلي ولا تخرج من فمي،

- ماذا حدث لنا يا مي؟ وما الذي غيرك هكذا معي؟ هل يا ترى قصرت معك في شيء يا حبيبتي دون أن أدري؟ هل الذنب عندي أم عند أهلك أم أنها عين وأصابتنا؟

وبينما أنا أنظر إليها هكذا فجأة! استيقظت لتفتح عينيها وتسالني:

- معاذ! هل أنت مستيقظ منذ فترة؟ أم أنك لم تنم؟ ولماذا تقف هكذا وتنظر إلي؟

قلت لها:

- لا عليك يا حبيبتي، لا تشغلي بالك سأجهز أنا فنجان قهوة لي هل أحضر لكِ فنجان قهوة معي، أم أنك ستكملين نومك؟

قالت:

- لا لن أستطيع أن أحتسي القهوة الآن، فأنا لم استفيق حتى الآن.

أنا:

- غريبة يا مي! لم تطلبي حتى أن تقومي لتجهزي فنجان قهوتي كالمعتاد؟

قالت:

- سأنهض يا معاذ أجهزها لك وأحضرها لك حتى تنتهي من أخذ حمامك الدافئ وتحضر نفسك وتلبس.

قلت لها:

- لا، لا تجهدي نفسك يا مي أنا سأجهزها لنفسي.

وابتسمت في وجهها وحضرت ملابسي ودخلت إلى الحمام لأخذ حمامي الدافئ وأخرج أجهز لنفسي القهوة وأرتدي ملابسي وأذهب إلى عملي، لأن هذا اليوم مليء بالمواعيد التي يجب أن أقابل فيها بعض الشخصيات لأنهي معهم بعض الاتفاقيات الخاصة بالعمل داخل مقر الشركة عكس المواعيد الخارجية، فاليوم يوم رسمي في كل شيء.

كلما تمر الدقائق أشعر بشعور غريب يزداد بداخلي تجاه مي والتفكير يزداد بداخلي، دخلت تحت المياه الساخنة لكي أشغل تفكيري بأي شيء وأتناسى كل ما أمر به من تفكير وضغوطات نفسية ولكن هيهات، هيهات التفكير لا

يتركني أبداً، خرجت من الحمام ومي عادت إلى نومها مرة أخرى ولم أيقظها حتى انتهيت من صنع فنجان قهوتي الجميل وشرب سيجاري الذي كنت أظن أنني أخرج كل ما بداخلي من هموم مع خروج أنفاسي مختلطة بدخانه، انتهيت من قهوتي وسيجاري وبدأت أرتدي ملابسي وأخيراً استيقظت مي،

مي:

- ألن تتناول فطورك يا معاذ قبل أن تخرج إلى عملك؟

أنا:

- لا يا حبيبتي، فأنا اليوم على عجلة من أمري، فأنا متأخر قليلاً اليوم سأتناوله مع أصدقائي في العمل، تستطيعين أن تكملي نومك يا مي وتناوليه مع والدتك عندما تستيقظين، لا تهتمي لأمري.

مي:

- كيف لا أهتم لأمرك يا معاذ؟ ولماذا لهجتك غريبة اليوم معي؟ هل فعلت لك شيء أزعجك مني؟

أنا:

- لا يا مي ولكن اهتمامك قل بي بعض الشيء في الآونة الأخيرة وهذا الأمر يزعجني قليلاً، لا عليك يا حبيبتي سيكون كل شيء على ما يرام ولن أبتعد عنك كثيراً، فلعل التقصير مني وأنا لا أدري.

مي:

- لكن يا حبيبي أراك متغيراً اليوم قليلاً وكأن بك شيء!

أنا:

- لن أخفي عليك يا مي، فاليوم أشعر بشيء غريب يراودني وشعور غريب حقاً لم أشعر به من قبل ولا أستطيع أن أصفه لكِ!

مي بارتباك:

- شعور بماذا؟ ماذا بك يا معاذ؟ هل يوجد بك شيء؟ هل تشعر بأي ألم؟ هل هناك شيء يضايقك؟

وكان يظهر على وجهها حقاً الارتباك،

أنا:

- لا يا حبيبتي، لمَ كل هذا الارتباك! أنا أشعر فقط بانقباض في قلبي وكأن شيء ما سيحدث لا أعرف ما هو! ولكن حقاً أشعر وكأن شيء كبير جداً سيحدث، لا عليك لا تشغلي بالك، فقط اهتمي بنفسك يا مي وكوني قوية ولا تتخلي عني مهما حدث، فأنا أحبك حقاً.

مي:

- أتخلى عنك؟ ما هذه الكلمات الكبيرة يا معاذ وكيف تقول هذا؟ هل تشك أنني قد أتخلى عنك في يوم من الأيام؟ أتصدق هذا؟ هل يستطيع الإنسان أن يعيش بغير قلب أو بدون روح؟ فأنت روحي وقلبي يا معاذ ولا تعرف قدرك عندي.

قلت لها:

- لا حرمني الله منك يا حبيبة قلبي، أدامك الله في حياتي.

قبلت يدها ورأسها واحتضنتها وأكملت ارتداء ملابسي وبدلتي الأنيقة والجذابة، فاليوم غير عادي في عملي بأكمله، وابتسمت في وجهها وخرجت.

نزلت في المصعد الخاص بالعمارة التي نسكن فيها، وكل طابق ينزل بي المصعد أشعر وكأن الذي سيحدث يقترب مني أكثر حتى وصلت إلى الطابق الأرضي وخرجت من المصعد وإذ بالسائق ينتظرني ويأخذ مني حقيبة يدي

يوصلها للسيارة، وبينما نحن في الطريق، صار عقلي يفكر ويفكر والسائق يحدثني وأنا لا ألقي له بالاً فيما يتحدث في شأنه حتى صار يعلو بصوته لكي أنتبه له، قلت له:

- أعذرني يا سعود، فعقلي منشغل بعض الشيء، أعتذر منك نتحدث في وقت لاحق.

قال لي:

- لا عليك معاذ بيه، أنا من يعتذر منك.

كان عقلي منشغلاً طوال الطريق، أفكر في أموراً كثيرة جداً وأرتب أمور حياتي بأكملها، يا ترى ما الذي فعلته لكل هذا؟ ماذا بك يا معاذ هل ستظل هكذا؟ يجب أن تستيقظ مما أنت فيه قبل أن يفوت الأوان، وظل عقلي يفكر ويفكر،

سعود:

- معاذ بيه، معاذ بيه؟ لقد وصلنا يا سيدي.

يا إلهي، ألهذا الحد عقلي منشغلاً ولا أركز في أي شيء! خرجت من السيارة ودخلت مقر الشركة والكل ينظر إلي وأنا في أبهى وأفضل حالاتي وهم لا يعلمون ما يدور بداخلي، دخلت على مدير الشركة مراد بك الذي قابلني مقابلة الأب لابنه الذي طال غيابه، وكان لقائه حاراً حقاً وكنت سعيدا جداً بمقابلته لي، ولكن أيضاً هو شعر بأن هناك شيء يدور بداخلي، قال لي:

- ماذا بك يا أستاذ معاذ؟ أشعر وكأنك منهك بعض الشيء أو أن شيء يدور بداخلك؟

قلت له:

- لا أبداً مراد بك، أنا بخير ولله الحمد، فقط بعض الضغوطات في العمل وسأتخطى كل هذا، فأنت تعلمني جيداً.

مراد بك:

- نعم، فأنت رجل المهام الصعبة.

أخذنا نتبادل الحديث عما سيحدث في الاجتماعات والاتفاقيات التي ستحدث بعد قليل، وعقلي لا يمتنع عن التفكير فيما سيحدث لي أو ما سيأتي في القريب العاجل! فقلبي يحدثني بأمر أجهله حتى الآن.

انتهى وقت عملي واتصلت بأمي وأبي؛ لكي يدعيا لي، لكي يخرجني الله مما أشعر به الآن،

أنا:

- السلام عليكم يا أمي، كيف حالك! أقسم لكِ أنني اشتقت إليكم كثيراً جداً.

أمي:

- يااااه يا معاذ، أخيراً تذكرت أمك! أيام ولم تحدثنا يا ولدي! صحيح من وجد أصحابه نسي أحبابه.

قلت لها:

- يا قلب ابنك كيف أنساكِ وأنتِ جنة الله في أرضه ونبض قلبي الذي أعيش به!

وأخذنا نتحدث حتى راضيتها بكلماتي هي وأبي بعدها، وطلبت منهما الدعاء لي كثيراً وأخذا يدعيان لي قرابة الثلاثة دقائق متصلة حتى فاضت الدموع من عيني.

أمي:

- ماذا بك يا معاذ! هل تبكي يا ولدي؟

قلت:

- لا يا أمي، أنا بخير سأذهب الآن لإكمال عملي، لا تنسوني من دعائكما باستمرار، استودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه أبداً.

وأغلقت معهم الاتصال، مرت عليّ الدقائق وكأنها ساعات، والساعات كأنها أيام وليالي وسنوات، فقلت في نفسي،

- لن أترك نفسي لتفكيري وعقلي وعليّ الآن أن أضع حداً لكل هذا وأن أطرد كل هذه الأفكار التي ستقضي عليّ وعلى أسرتي بأكملها.

اتصلت بمي:

- السلام عليكم يا حبيبتي، كيف حالك لعلك بخير!

مي:

- أنا بخير يا معاذ، أنت كيف حالك؟ وأين أنت فنحن ننتظرك على الغداء؟

أنا:

- لا لن آتي، ما رأيك أن تاتوا إليّ أنتم يا مي لنقضي باقي اليوم في الخارج بالمطعم المفضل لدينا، وأيضاً أنا قد جهزت لكِ مفاجأة لتصفية كل ما سبق من خلافات وحزن ونبدأ صفحة جديدة معكِ وأهلك، وأريد أن أقدمها لكِ في وسط جو رومانسي.

مي:

- حاضر يا حبيبي، سأجهز نفسي وآتي لك أنا وأمي.

أنا:

- لا لا تجهدي نفسك، سأتصل بمحمود صديقي يأتي إليكما بسيارته ويجلبكن أنتِ ووالدتك، وأيضاً من المحتمل أن تكون معه زوجته ليكون الجو مكتملاً كعائلة.

مي:

- حاضر يا معاذ سنتجهز حتى يأتي محمود.

اتصلت بمحمود وأخبرته قال:

- سأذهب وآتي بهما.

ولكن أخبرني بأن زوجته موجودة في بيت والدها ولن تستطيع المجيء معه، فسياتي وحده مع مي ووالدتها، جلست أنتظرهم حتى يأتوا وأنا أنظر في كل مكان وكأني لأول مرة أحضر إلى هنا، وبدأ عقلي والتفكير يعود إليّ من جديد والشعور يزداد بداخلي، وكأن شيء يقترب مني أكثر فأكثر، شعور لا يطاق، ضيق في التنفس، جبل يطبق على صدري، دقات قلبي تنخفض وتسرع، اضطرابات في جسدي! فوقفت من على الكرسي مرة واحدة حتى فزع من يجلس على الطاولة التي بجواري قائلاً:

- هل هناك شيء يا أستاذي!

قلت له:

- لا أنا بخير وكل شيء على ما يرام.

يا إلهي ما الذي يحدث لي؟ وما الذي سيحدث وما الذي يقترب لهذا الحد؟ وأنا أقف وإذ بي أنظر إلى باب المطعم لأجد صديقي يدخل المكان ومعه مي ووالدتها، لتتحول نظرات الذعر والضيق التي على وجهي إلى ابتسامة وفرح، ومن الجانب الآخر أجد بعضاً من أصدقائي في العمل يدخلون أيضاً إلى المكان وكأن الله شاء لكي يجتمع الجميع ليشهدوا حدوث شيء ما! قابلت الجميع بوجه ضحوك مبتسم، قبلت يد ورأس مي كالمعتاد، فلم أخجل من فعل مثل هذا أمام الجميع، فهي أميرتي وأنا أمير حياتها والكل يعرف هذا وكنت أفتخر بهذا، وقلت لأصدقائي:

- ما أجمل هذه الصدف التي تجمعنا جميعاً في لحظة واحدة!

تبادلنا الأحضان والسلام، وجلسنا كلنا على طاولة واحدة وأخذنا نتحدث عن ذكريات الطفولة والمواقف الغريبة ونتسابق على أكثر موقف مضحك

قد حدث لكلٍ منا ونتبادل الضحكات ولا نبالي، وفي لحظة مفاجئة أضاء هاتفي بإشعار لأحد برامج التواصل الاجتماعي، أمسكت بهاتفي لأفتح الرسالة وإذ بي أرى ما لا يتحمله قلب ولا يصدقه عقل ولا يخطر على بالي أبداً، ولا أتمناه لأحد أن يوضع في مكاني في تلك اللحظة، رأيت حبيبة قلبي وأميرة حياتي، الفتاة التي غيرت حياتي كلها لأجلها، وتركت كل شيء لإرضائها، وكنت أنسى كل هموم حياتي بمجرد النظر في عيونها وهي تضحك، الفتاة التي ضحيت بكل شيء حتى لا أجرح مشاعرها، الفتاة التي اشتريت خاطرها وبعت كل شيء في يوم من الأيام لأجلها، الفتاة التي كنت أطعن في قلبي كل يوم عندما أرى طفلاً في يد أباه ولا أظهر ذلك لها؛ خوفاً على مشاعرها ولا أبالي، الفتاة التي كنت أكتبها على هاتفي جنة عمري، رأيتها بنفس الملابس التي خرجت بها لعيد ميلاد صديقتها ولكن ليست في عيد الميلاد للأسف ولكن مع رجلاً آخر وبين يديه! وأسفاه على قلب جعلته ملكاً لكِ في يوم من الأيام، وأسفاه على حب وضعته لكِ في قلبي فأغناني عن العالم بما فيه، وأسفاه على أيام ضاعت لأجلك ومعكِ مبتعداً عن عين أمي وأبي بسببك، وأسفاه على إسمي الذي تحمليه في تحقيق هويت، وأسفاه على كل شيء فعلته لأجلك ومن أجلك يا من كنتِ أغلى عندي من نبضات قلبي! نظرت إلى الصورة وإذ بشريط حياتي بأكمله يمر أمام عيني، كل موقف في حياتي مر أمام عيني في لحظات معدودة، الكل ينظر إليّ ويحدثني وأنا لا أجيب أحداً، الصوت ينخفض من حولي، النور ينخفض وينطفئ في عيني، شعور وكأن روحي تسحب من جسدي، صعقة كهربائية ينتابني الشعور بها في تلك اللحظات، جسدي تنخفض حرارته وأشعر بالبرودة الشديدة، وإذ بي النور ينطفئ في عيني وأغيب عن العالم بما فيه، لتبدأ الحرب الحقيقة والمجهولة والتي كنت أخشاها.

الفصل الثامن عشر

غبت عن العالم أجمع، لا أشعر بأي شيء حولي، صراخ من هذا وذاك، الكل يجري ويهرول لكي يبحث عن أي شيء يسعفني به، جسدي يرتعش وكأن صاعق من الكهرباء قد أمسك به ولا يستطيع أحد إسعافي، دقات ونبضات قلبي تتباطأ رويداً رويداً، النفس يتسارع، اضطرابات في الجسد بأكمله، الكل يبكي، الكل يتصل بسيارات الإسعاف، كل من يفهم في الطب يحاول أن يسعفني بأسرع وقت ولا شيء ينفع، حملوني مسرعين في سيارة ونوبات الصرع تتملك كل جسدي وكل ما يفعلونه هو فتح فمي حتى لا يغلق وأبلع لساني كما يقال أو يحدث في هذه الأثناء أو في هذا الوضع، يدخلون المستشفى لا يجدوا مكان فارغ في الرعاية المركزة، يركضون بي على مستشفى أخرى وكأنهم يسابقون الزمن مسرعين حتى وصلوا إلى إحدى المستشفيات وكانت الساعة العاشرة مساءً، الكل يركض هرج ومرج، أطباء، تمريض، الكل يركض، شاب في مقتبل العمر يفقدونه ويحاولون إسعافه، أصدقائي يبكون، علامات الارتباك تظهر على زوجتي والدتها، تتصل زوجتي بوالدها واخوتها:

- أبي أنقذني!

والدها:

- ماذا حدث؟ لماذا تصرخين؟ هل حدث شيء لكم؟ أنتِ بخير؟ معاذ بخير؟ هدئي من روعك وصراخك وخبريني أين أنتم وماذا حدث؟

زوجتي:

- معاذ يموت يا أبي! احضر هنا مسرعاً أرجوك أنت وإخوتي في أسرع وقت.

والدها:

- أين أنتم الآن؟

زوجتي:

- في مستشفى....،

وانقطع الاتصال فجأة، يتصل والدها بوالدتها فتخبره بمكان المستشفى، وسرعان ما أتوا إلينا هو وأبناءه مسرعين.

والدها:

- ماذا حدث لمعاذ؟!

يسأل الأطباء وفريق التمريض، وكل الأطباء يركضون بأجهزة الانعاش والصدمات الكهربائية على الرعاية المركزة، واستشاري الرعاية المركزة،

- أسالكم الدعاء له والهدوء ورجاء الابتعاد عن باب الرعاية منعاً لإزعاج باقي المرضى رجاء.

بعد عمل اللازم تمت عملية الافاقة بعد توقف القلب عن النبض ولكن نوبات الصرع تتكرر، ظل الوضع على ما هو عليه حتى الساعة الرابعة فجر اليوم التالي حتى هدأت نوبات الصرع والتشنجات العضلية وتوقفت عن التكرار بعض الشيء، البعض يقول حالة نفسية، والآخر كهرباء في المخ والأعصاب، وآراء وآراء ولكن الكل أجمع أن المهم في الأمر الآن هو أن تتوقف نوبات الصرع عني وبعد ذلك يبحثون عن السبب ويعالجونه، الكل خارج الرعاية بين بكاء وتفكير، اتصالات من أهلي بزوجتي ولا تجيب عليهم؛ خوفاً من أمر ما الكل يجهله حتى الآن ولا يعرفه أحد غيري أنا وهي، توالت الاتصالات من قِبل أهلي بزوجتي وأهلها حتى أجابوا أخيراً وأخبروهم أنني سافرت فجأة خارج مصر لظروف العمل وأهلي صدقوا الأمر إلا أمي، فقلب الأم يشعر بما سيحدث لولدها قبل أن يحدث، منعت الزيارة عني ليومٍ كامل، وفي اليوم الذي يليه بدأت استفيق بعض الشيء، وإذ بي ملقى على

سرير بغرفة مليئة بالأجهزة والمعدات الطبية والأسلاك والأجهزة متصلة ومعلقة على صدري وجسدي، فتحت عيني وكأني عدت للحياة من جديد، أجل وهذا ما سمعته من الطبيب وفريق التمريض من حولي،

«حمداً لله على سلامتك يا معاذ، فلقد عدت للحياة وكتب الله لك عمراً جديداً»

كانت الابتسامات تملأ وجوههم وكأنهم بالفعل انتصروا في شيء عظيم، يا إلهي الهذا الحد قد وصلت حالتي للتدهور! ما الذي حدث لي يا ترى وكم هي الساعة الآن! أجل فأنا كنت وكأني في عالم آخر تائه لا أعلم أين أنا ولا كم الوقت! ولا أبالغ إن قلت أنني لا أدرك من حولي من الأساس! لم يطل الوقت كثيراً حتى أدخلوا عليّ زوجتي وأصدقائي بالتناوب ليطمئنوا عليّ واحداً تلو الآخر وأنا لا أستطيع التحدث مع أيا منهم، فأنا تائه في عالم ما بين صداع وألم واضطرابات في الوعي والتفكير، نوبات من الصرع والتشنجات الكهربائية والعصبية تضرب جسدي كانت كفيلة بأن تجعل الأطباء يمنعون عني الزيارة تماماً لثلاثة أياماً أخرى، وجسدي ينهك من كثرة المهدئات والمواد المخدرة لكي يتم التحكم في النوبات التي تضرب جسدي في كل لحظة.

الفصل التاسع عشر

مر هذا اليوم بصعوبة على الجميع حولي ولكن الصعوبة الأكبر كانت عليّ أنا وحدي، فلا أحد يعلم ما أمر به، ولا أحد يعلم ما أشعر به أبداً، طبيب تلو الآخر يدخلون عليّ ليطمئنوا ويعرفون الأسباب وراء كل هذا، أطباء نفسيين، أطباء متخصصون في أمراض المخ والأعصاب، تحاليل طبية، رسم للمخ والكل يجزم بأنها كهرباء فقط في المخ ليس أكثر وأن الأمر سيمر على خير.

مر عليّ أكثر من عشرة أيام ما بين تعب وألم وصراخ من شدة الصداع الذي يلي نوبات الصرع التي تنتابني لحظة تلو الأخرى، الزيارات بدأت تدخل إليّ، أصدقائي، زوجتي مي واخوتها ووالدها، ولا أجد أحداً من أهلي حتى الآن فهممت سائلاً:

- مي، أين إخوتي وأهلي ألم تخبري أحداً منهم؟

قالت:

- اتصلوا علينا وأخبرتهم أنك مسافر بضعة أيام؛ حتى لا يقلق أباك ووالدتك ويصيبهم التعب من أجلك.

قلت لها:

- أريدك أن تتصلي بأخي حمد وتخبريه أن يأتي دون أن يخبر أي شخص في المنزل.

قالت:

- حاضر يا معاذ سأتصل به وأخبره ذلك، فقط أريدك الآن ألا تفكر في شيء وأن تخرج من هنا سالماً معافى.

قلت في نفسي،

- هل حقاً يا مي تريديني أن أخرج من هنا سليماً معافى؟ هل عرفتي السبب الذي أتى بي إلى هنا؟

قلت لها:

- إن شاء الله يا مي، فقط أريد أن أتحدث مع الطبيب بضع دقائق إن أمكن أن تاتوا به إليّ!

وبينما أنا أتحدث، إذ بنوبات الصرع تضرب جسدي مرة أخرى ولكن هذه المرة كانت أشد وأشد مما سبق، بعد ساعات استيقظت مما حدث لي، لأنظر بعيني لأجد نفسي أرى الممرض إثنين، أجل «ازدواجية في الرؤية» سألت الممرض:

- هل يوجد شيء في عيني!

قال:

- لماذا؟

قلت له:

- لأني أراك إثنين وأرى كل شيء حولي إثنين! ما هذا! أرجوك استدع لي الطبيب.

ذهب الممرض مسرعاً نحو الطبيب، وإذ بالطبيب يدخل عليّ ويسألني:

- ماذا بك أستاذ معاذ! بماذا تشعر؟

قلت له:

- أرى كل شيء إثنين يا دكتور! وصداع شديد في رأسي يكاد أن يفجر رأسي!

قال لي:

- لا تقلق أستاذ معاذ، فهذا الأمر يحدث في بعض الأحيان من العقاقير المخدرة التي نعطيها لمريض نوبات الصرع، أيام قليلة وستتحسن لا تقلق.

اطمأن قلبي قليلاً بعض الشيء، وإذ بي أنظر لأجد أخي وزوجته ويحمل ابنه الصغير على يده يدخلان عليّ في زيارة مع زوجتي مي ووالدتها، نظر إليّ أخي حمد في نظرات كلها حزن فيما رآني فيه وقال:

- لا تخف ستكون بخير يا معاذ.

بعد يومين بدأت الأعراض تزيد بعض الشيء لدي رويداً رويداً، صداع في الرأس، تنميل في الأطراف، غشاوة على عيني اليمنى، أخبرت الطبيب وأخي بما أشعر، فاضطر أخي أن يطلب الاستعانة باستشاري لأمراض المخ والأعصاب من خارج هذه المستشفى، وبالفعل في نفس اليوم أتى لي هذا الاستشاري بعد الاتصال به، وبعد توقيع الكشف الطبي عليّ أمر بنقلي إلى مستشفى أخرى بها قسم متخصص بأمراض المخ والأعصاب؛ لكي يتم عمل الفحوصات اللازمة بشكل أفضل وتحت رعاية أطباء متخصصون في ذلك، وبالفعل في اليوم التالي تم نقلي إلى مستشفى أخرى جامعي إلى قسم المخ والأعصاب.

الفصل العشرون

في اليوم التالي تم نقلي إلى المستشفى الجامعي وتم تجهيزي لدخولي قسم المخ والأعصاب، وبعد دقائق أدخلوني إلى قسم الرعاية المركزة لقسم الأعصاب بالمستشفى ووضعوا لي الأجهزة اللازمة، وبعد دقائق دخل لي فريق طبي كامل ومعهم استشاري متخصص بأمراض المخ والأعصاب وبدأ يسألني عن كل الأعراض التي أشعر بها، قاطعته قائلاً:

- يا دكتور أشعر وكأن أطرافي تتقطع من شدة الألم!

قال:

- صف لي ما تشعر به بالضبط يا أستاذ معاذ؟

قلت:

- أرى كل من حولي اثنان، وأيضاً كأن غشاوة على عيني اليمنى مع ألم وصداع شديد في جانب رأسي من الناحية اليمنى، وأشعر بوخزات إبر في قدماي ويدي مع ثقل في الحركة.

قال الطبيب لمعاونيه:

- علينا إجراء بزل للنخاع وفحص بالرنين المغناطيسي على المخ وأيضاً على الفقرات العنقية والحبل الشوكي.

قال له أحد الأطباء معه:

- اتعتقد أنه MS يا دكتور!

قال له:

- نعم فكل هذه الأعراض تنطبق عليه حرفياً، ولكن لن نجزم الأمر إلا بعد عمل كل هذه الفحوصات أولاً.

وبدأوا معي فوراً في هذه الفحوصات ومنعوا عني الزيارة في هذا اليوم أيضاً لإجراء الفحوصات، ولم تمر الساعات حتى عادت إليّ نوبات الصرع والتشنجات تضربني من جديد واستيقظت منها هذه المرة ولكن بعد ساعات طويلة جداً، والأمر ازداد سوءاً بتلعثم في النطق وثقل في البلع، دخل الطبيب يقول لي:

- بعد ساعة من الآن يا معاذ سنقوم بإجراء البزل من النخاع، فاستعد ولا تخف، وزوجتك ووالدتها وأخيك يريدون الدخول لزيارتك، سأدخلهم إليك دقائق معدودة قبل النزول لعمل البزل.

دخل عليّ أخي ومي زوجتي ووالدتها وبدأوا بالاطمئنان عليّ وأنا لا أستطيع التحدث، فبدأت دموعي بالانخراط على وجهي حتى الألم لا أستطيع أن أعبر عنه بكلمات! نظر إليّ أحد المرضين يدعى (سامح) وهو في السماحة والأصالة مثلاً يحتذى به، شاب محترم جداً، وجدني أبكي فأخرجهم جميعاً وأخذ يحدثني ويقول:

- أستاذ معاذ لمَ تبكي؟ أعرف أن ما أنت فيه كثير وعظيم ولكن الله قادر على أن ينجيك من كل هذا، لا تبكي فالرجال لا يبكون، أتعرف يا أستاذ معاذ أنا مثلاً على سبيل المثال أقيم هنا في المستشفى ولا أستطيع الذهاب إلى منزلي أتعرف لماذا؟ لأني فقدت أبي وأمي وزوجتي وابني الرضيع في حريق المنزل أمام عيني وأنا لا أستطيع فعل أي شيء لهم، ومنذ تلك اللحظة وهبت نفسي لخدمة المرضى وكنت في قسم الحروق والجروح ولكن تم نقلي لهذا القسم بسبب سوء حالتي النفسية التي وصلت لها بسبب وجودي في قسم الحروق، احمد الله أستاذ معاذ وإن شاء الله ستنجو مما أنت فيه، هيا بنا لإجراء البزل في قسم العمليات ونعود مرة أخرى ولا تقلق فالأمر بسيط.

سامح طيب خاطري بكلماته وأخذوني بالسرير كما أنا وأنزلوني بالمصعد لقسم العمليات، وقمت بعمل البزل وأعادوني إلى مكاني مرة أخرى، وبعد ساعتين سمحوا لي بالأكل ولكن لا أستطيع أن أبلع أي شيء، فقاموا بتركيب أنبوب من أنفي يتصل بالمعدة لإطعامي، لا أستطيع وصف الألم الذي كنت أشعر به في هذا الوقت، ألم لا يطاق!

تمر الساعات والأعراض تزداد لدى، وقاموا بإعطائي بعض المحاليل لتحسين تلك الأعراض وتحسنت الأعراض معي بعض الشيء وظهرت نتيجة البزل وباقي الفحوصات الطبية، ليظهر شيء مجهول ولأول مرة أسمع عنه في حياتي، دخل الطبيب يخبرني بحضور أخي وزوجتي مي ووالدتها وزوجة أخي:

- أستاذ معاذ، بعد الفحوصات التي فعلناها وأجريناها لك تأكد إصابتك بمرض مناعي يدعى التصلب اللوحي المتعدد ويسمى أيضاً بال MS اختصاراً للمصطلح الطبي « Multiple sclerosis »

سمعت كلمات الطبيب وكنت قد بدأت أتحسن في النطق بعض الشيء وطلبت من الجميع أن يخرج ولكن أبى الطبيب أن يخرج أحد وصمم على وجودهم ليفهموا ما يود أن يقوله عن هذا المرض، بدأت أسأله:

- ماذا يعني هذا المرض؟ وما طبيعته؟ وما هي أعراضه؟ وهل سأظل هكذا؟

وبدأ الطبيب يتحدث عن حالتي ولكن باختصار بعض الشيء.

الفصل الحادى والعشرون

بدأ الطبيب يشرح لي ما هو التصلب اللوحي المتعدد «MS »
قال:

- التصلب المتعدد يا أستاذ معاذ هو مرض مناعي يصيب الجهاز العصبي المركزي، ويسبب تآكل لمادة المايلين المغلفة لأعصاب الجسم، وهذا يسبب التهابات شديدة بأعصاب الجسم، وتأتي أعراضه على هيئة هجمات كما ندعوها تسبب خللاً في بعض أجزاء الجسم، مثل ازدواجية في الرؤية، أو ضبابية على العين أو كلتا العينين مع صداع شديد مما يسببه من التهابات للعصب البصري، ومنها أيضاً خلل في الاتزان والتوازن في أطراف الجسد، فبعض المرضى لا يستطيعون التحكم في بعض أطراف أجسادهم في بعض الهجمات التي يسببها، وأيضاً منها تلعثم اللسان أو ثقل النطق والبلع، ويتم تشخيص هذا المرض عن طريق أشعة الرنين المغناطيسي على المخ والفقرات العنقية والحبل الشوكي وبزل النخاع في بعض الحالات ويظهر على هيئة بؤر بيضاء على المخ أو في الحبل الشوكي أو الفقرات العنقية وله عدة أنواع،

قاطعه أخي حمد:

- يا دكتور أليس له علاج؟

قال له الطبيب:

- حتى الآن الأدوية التي تظهر له على الساحة هي مهدئة ومسكنة لهجماته، ونأمل في القريب العاجل ظهور علاج نهائي له، وبخصوص الأستاذ معاذ لا تقلق إن شاء الله سيتحسن مع بعض الأدوية، لا تقلقوا.

سمعت كلمات الطبيب، ونظرت إلى عين زوجتي مي وقلت في نفسي:

- يا إلهي ما كل هذا الذي وصلت إليه يا معاذ!

وأخذت أحدث نفسي كثيراً وكثيراً حتى غاب ذهني وتفكيري عنهم وكأني دخلت إلى عالم آخر مليء بالضغوط أكثر والتفكير أكثر فأكثر، حتى سمعت الطبيب يقول:

- أستاذ معاذ، هل أنت معي!

قلت له:

- نعم أنا معك يا دكتور، معذرة.

قال لي:

- لا تقلق، أريدك ألا تفكر في أي شيء سوى شيء واحد فقط وهو أن تقوي من عزمك وتحسن من نفسيتك؛ لتساعدنا مع الدواء لكي تخرج من هنا في أقرب وقت ممكن.

قلت له:

- إن شاء الله يا دكتور، إن شاء الله.

وفي نفسي أقول:

- وكيف ستتحسن نفسيتي وحولي كل ما أمر به ولا أحد يعلم به، كيف سأتحسن وكل الأعراض التي ذكرتها أيها الطبيب موجودة بي الآن! أتضحك على نفسك أم عليّ أم على الحاضرين؟

قبل رأسي أخي حمد وقال:

- لا تقلق، إن شاء الله ستكون بخير.

مي:

- لا تخف يا معاذ، ستخرج من هنا وأنا بجوارك مهما حدث، أرجوك لا تفكر في شيء إلا صحتك فقط لكي تخرج سريعاً من هنا.

ودقائق وانتهت الزيارة وخرجوا جميعاً والحزن يملأهم ولكن كان أكثرهم حزناً هو أخي حمد، أخذ التفكير يأكل في رأسي من شدته حتى دخلت في نوبة صرع وكانت الأشد والأشد منذ بدء تعبي، استرجعت وعيي كاملاً بعد أيام ولكن للأسف الطبيب أخبرني أنني أصبت بهجمة شديدة ستؤثر على قدماي فترة طويلة تكاد أن تصل إلى سنوات، وعادت إليّ باقي الأعراض التي تحسنت ولكن بشدة هذه المرة، فأخبر الطبيب أخي وزوجتي مي أنه لا يستطيع السماح لي بالخروج نهائياً إلا بعد تحسن حالتي وإلا يوقعون إقرار خروجي على مسؤوليتهم الخاصة، ولكن أخي رفض هذا القرار، طالت الأيام والليالي حتى وصلت إلى شهرين ونصف، وأخيراً تحسن البلع والنطق وحركة اليدين بعض الشيء وقلت نوبات الصرع بعض الشيء ولكن لم تختف كلياً، فتم نقلي إلى غرفة خارج الرعاية المركزة وتعتبر غرفة رعاية متوسطة ومجهزة أيضاً ببعض الأجهزة الطبية لمتابعة النبض وأكسجين الدم والضغط وجهاز التنفس ما كان يفصل عني ولو حتى للحظات، ولكن الحمد لله أنا أفضل من البداية وبدأت أتحسن.

سمحوا بوجود مرافق معي في الغرفة فكان أخي وزوجته يتناوبان مع زوجتي ووالدتها الليالي في المبيت معي، وكانت أصعب اللحظات عندما تبيت معي مي وأنا لا أستطيع أن أظهر لها أي شيء بداخلي حتى لا أحرجها أمام والدتها أو من يأتون لزيارتي من الأصدقاء والعائلة، وبدأت أتصفح هاتفي في اليوم بضع دقائق كما أخبرنا الطبيب ألا أطيل النظر في الهاتف لأبحث عن طبيعة المرض وما هو، وما هي أنواعه التي لم يخبرنا الطبيب عنها؟

فبحثت عنه بشكل تفصيلي واختصرته في نقاط وبدأت أكتبها في النوت بوك الخاصة بهاتفي.

الفصل الثاني والعشرون

بدأت أكتب نقاط عن ماهية ما أصابني؛ حتى أعرف كل شيء عنه، كيف ومتى تم اكتشاف ما أصابني ما يسمى بالتصلب المتعدد؟
وجدت أنه تم اكتشاف المرض من خلال طبيب الأعصاب الفرنسي «جان مارتن شاربت» عام 1848م وذلك بعد أن رصد أعراضاً في القدرات الحركية والبصرية لإحدى مريضاته وبعد وفاتها قام بتشريح دماغها، ليقدم الوصف الإكلينيكي للحالة، دمار نسيجي يحدثه الجهاز المناعي وذلك حينما يهاجم الخلايا العصبية متلفاً بذلك طبقة المايلين المغلفة للخلايا العصبية، وهذا الضرر للخلية يتسبب في عدم وصول السيلان لبعض المراكز المهمة في الجسم، وبحسب تلك المواقع تختلف الآثار الجانبية والأعراض وتتراوح في شدتها، وتظهر أعراض المرض على شكل عجز وخلل في القدرات الحركية والبصرية، بل وحتى في النطق والإدراك في بعض الحالات.
عندما قرأت هذه المعلومات عرفت بأن التصلب اللوحي المتعدد كما شعرت به هو مرض صامت وغير مرئي ولا يمكن التنبؤ بسلوكه أو بموعد هجماته، فأخذت أبحث أكثر فأكثر عن أسباب المرض وما الذي يحدث للمريض قبله وكيف يتم تشخيصه؟ وجدت أن حتى الآن لا يوجد سبب واضح ومعروف لهذا المرض ولكن يتوقع الأطباء حول العالم كما ذكرت معظم المواقع أن من أسبابه الآثار البيئية وتغير المناخ فجأة، الأطعمة غير الصحية، وأيضاً لم يستبعدوا الأثر الوراثي ولكن بنسبة لا تتخطى ال3% من العدد الذي رصدوه حتى هذا الوقت من مرضى التصلب اللوحي، والأهم من كل هذا وهو الصدمات والضغوط والصراعات النفسية والعصبية، وكيف لا وهي التي أتت بي إلى هنا وأنا أجزم في نفسي أنها السبب في كل ما حدث لي.

ناديت على التمريض ليأتوا لي بأحد الأطباء؛ لأسئلة عن شيء أشعر به الآن، فأتى الطبيب مسرعاً:

- ماذا بك أستاذ معاذ! بماذا تشعر؟

قلت له:

- أشعر وكأني تائه بين كثير من الأمور! أريد توضيح منك إن أمكن!

قال:

- تفضل أنا معك.

قلت له:

- أنا عرفت أنني أصبت بالتصلب المتعدد ولكن لا أعرف سببه حتى الآن، فمن خلال الفحوصات التي أجريتموها لي ما السبب الذي ظهر لكم! رجاء صارحني؟ هذا أول سؤال جاوبني وسأسألك السؤال التالي.

قال:

- صدقني كل ما ظهر في الفحوصات هو التشخيص المبدئي للمرض لأنه يتشابه مع أمراض أخرى ولذلك طلب منك إجراء البزل للتشخيص الدقيق للحالة، أما عن الأسباب الحقيقية وراء الإصابة فهي مجهولة، فيوجد أسباب كثيرة يرجحها كثيراً من الأطباء،

قاطعته:

- هل الأسباب والصدمات النفسية ممكن أن تكون السبب في إصابة بعض المرضى به؟

قال:

- نعم، ولمَ لا!

نظرت لمي وعيني كلها لوم وعتاب وأكملت حديثي مع الطبيب:

- آسف يا دكتور قاطعتك، بخصوص السؤال الثاني، بماذا يشعر المريض قبل التشخيص؟ لأني لم أشعر بشيء وللأسف تعبت فجأة شعرت بإحساس غريب راودني لم أفهمه ولكن الأعراض توالت عليّ واحدة تلو الأخرى دون أي سابق إنذار وفي المستشفى السابقة ظنوا أنها من آثار نوبات الصرع.

قال:

- بعض المرضى يشعرون بخدران أو تنميل في بعض الأطراف في أجسادهم، أو زغللة في العين أو ازدواجية في الرؤية، والبعض الآخر يشعر بثقل في البلع أو النطق، والبعض يحدث له عدم القدرة على التحكم في المثانة ويصاب بكثرة التبول والبعض الآخر يصاب عكس ذلك مثلاً كالإمساك، فأعراضه تختلف من مريض لآخر، من المرضى من يهتم ويذهب للطبيب ويتم تشخيصه في أسرع وقت، والبعض الآخر للأسف إما أن يتأخر تشخيصه أو تأتي إليه الأعراض فجائية كما حدث معك.

قلت له:

- وما هي أنواع التصلب المتعدد؟ فقد ذكر الطبيب أن منه أنواع كثيرة، فهل من الممكن أن تخبرني بها؟ أعلم أنني قد أطلت عليك ولكني أريد أن أفهم كل شيء بخصوص هذا المرض.

قال:

- لا عليك أنا في خدمتك، سل ما شئت وأنا أجيبك، أولاً التصلب المتعدد منه أنواع وله مسميات مختلفة، البعض يسميه التصلب المتناثر أو التصلب المتعدد المنتثر، والبعض يسميه التصلب اللويحي المتعدد، والآخر يختصره إما بالتصلب المتعدد أو ال MS،

ولكن اللفظ المندرج دائماً التصلب المتعدد؛ لأنه يصيب مناطق متفرقة في أعصاب الجسم ولا يتوقف على منطقة محددة، أما عن أنواعه سأشرح لك كل الأنواع المعروفة حتى الآن، «النوع الأول» التصلب المتعدد الانتكاسي، هذا النوع يشكل المرحلة الأولى لمرض التصلب المتعدد حيث يكون المريض في حالة مستقرة، ثم يتعرض إلى هجمات (Attacks) من الأعراض تصيب المريض لأكثر من عدة أيام، و قد يوجب معها دخول المستشفى لتلقي العلاج، و بعد انتهاء الهجمة قد تختفي الأعراض تماماً، و لكن في بعض الحالات قد تترك الهجمة أثراً لمدة طويلة في مركز معين و لكن تبقى الحالة مستقرة بدون تدهور، «النوع الثاني» التقدمي الثانوي، حيث يكون المريض في حالة مستقرة ثم يتعرض إلي هجمة أعراض شديدة و لكن يحدث بعدها انتكاسة تتسبب في تدهور الحالة بشكل مستمر، و لكن بدون هجمات أخرى جديدة، «النوع الثالث» التقدمي الأولي، حيث تكون بداية المرض بأعراض شديدة لا تتراجع وأيضاً يحدث تدهور للحالة مع مرور الوقت، «النوع الرابع» المنتكس التقدمي، يعد هذا النوع أقل الأنواع انتشاراً بين أنواع التصلب اللويحي المتعدد و فيه يعاني المريض من أعراض تقدمية شديدة منذ بداية المرض و يعاني من تدهور و يكون مصاحب لهذه الأعراض التعرض لهجمات مرضية من الحين للآخر.

كان يتكلم الطبيب واستأذنته بتسجيل هذه المعلومات صوتياً لكتابتها فيما بعد وبعد الانتهاء من سرده للأنواع، قلت له:

- وما النصائح التي من الواجب أن يتبعها كل مريض بأي من الأنواع التي ذكرتها؟

قال:

- كل الأنواع وجميع المرضى ننصحهم ببعض النصائح الثابتة التي لا تتغير ومنها، الابتعاد عن الإجهاد الحراري أو العمل أو الوقوف تحت أشعة الشمس مباشرة لفترة طويلة، والابتعاد عن الأماكن الحارة قدر الإمكان، لأنها تسبب وعكات صحية وأعراض شديدة في بعض الحالات. الابتعاد عن المياه الغازية والمشروبات التي تحتوي على الكافيين، والاكثار من شرب المياه في معظم الأحيان.
ممارسة التمارين الرياضية ولكن بعقل وعدم الإفراط، حتى لا يصاب المريض بإجهاد شديد مما قد يؤدي إلى إرهاق أو تدهور في حالته، يمارس الرياضة ولكن على أوقات متفرقة على مدار اليوم وبكميات معقولة بعض الشيء، لكي يتم تحريك عضلات الجسم وذلك يساعد المريض على تحسن حالته كثيراً مهما كانت حالته.
المتابعة مع طبيب متخصص في التصلب المتعدد وأن يتبع تعليماته كاملة وألا يتناول أي عقار طبي دون الرجوع إلى الطبيب المعالج له.

قلت له:

- شكراً لك يا دكتور، أطلت عليك ولكن سؤالي الأخير، هل حالتي حقاً لن تتحسن كما أخبرني بعض الأطباء وأني سأظل طوال عمري أو على الأقل لسنوات على كرسي متحرك؟ وما سبب نوبات الصرع التي تنتابني كل يوم عدة مرات؟

قال:

- للأسف أستاذ معاذ، فأنت لديك إصابة شديدة من شدة وتوالي الهجمات التي أصابتك ولكن ليس هناك شيء يبعد عن رب العالمين، لا تقلق واستبشر خيراً، أما بخصوص نوبات الصرع التي تأتي إليك فسببها أنك من الأساس مريض بكهرباء في المخ وأيضاً بعض مصابي التصلب المتعدد يصابوا بنوبات صرع ولكن ليس بنسبة كبيرة، تتراوح نسبة المصابين الذين يعانوا اصطحاب التصلب المتعدد بنوبات صرع أو تشنجات في مناطق متفرقة في أجسادهم ما بين ال 3% إلى 5% ليس أكثر حول العالم كله ولكن تتحسن الأعراض الصرعية بالمواظبة على الدواء الموصوف من الطبيب، فلا تقلق من هذا.

قلت له:

- أشكرك جداً يا دكتور أزعجتك كثيراً وعطلتك عن وقت عملك.

قال:

- هذا واجبي وأنت عملي الآن أستاذ معاذ، أي شيء تريده أرسل لي التمريض يناديني وأنا في خدمتك في أي وقت.

الفصل الثالث والعشرون

خرج الطبيب من الغرفة بعدما أعطاني كل هذه المعلومات عن المرض الذي أصابني والذي زاد التفكير في دماغي، وجعلني لا أتحمل الحديث مع أحد من المتواجدين معي أو من المتوافدين على زيارتي، ساءت حالتي مرة أخرى، فمن أصعب اللحظات التي تمر على الإنسان أن يقع في مأزق أو وعكة صحية شديدة تكاد أن تنهي حياته وبسبب من؟ بسبب أقرب الأقربين إليه، يا له من شعور صعب وأنت لا تستطيع عتاب من تحب في لحظة ما على شيء قد فعله وتسبب لك بأذى خوفاً على مشاعره أمام شخصاً آخر، فأنا الآن بين نارين، نار الموقف نفسه وما حدث وأني لا أستطيع المعاتبة، وبين نار تأكل في أحشائي وقلبي أنني لا أصدق إلى الآن كل ما حدث، هل يا ترى كل ما حدث كان مفبركاً وليس حقيقياً وأحدهم يحاول التفريق بيننا؟ أتمنى ذلك.

بدأت أفقد الأمل في كل شيء، شعرت وكأن الدنيا تضيق بي وأن العالم بأكمله لا يسعني، هل أنا معاذ الشاب الذي لم يكن يسكن ولا يجلس في مكان من كثرة التحرك؟ أصبحت الآن قعيد كما يقول الأطباء! الدقائق تمر عليّ وكأنها أيام طويلة ولكن ينتابها الحزن والأسى، حتى جاء ذات يوم لي أخي حمد وأخبرني بأن أبي وأمي سيحضران لزيارتي اليوم أو غداً، قلت له:

- هل عرفا ما حدث لي؟ وماذا أخبرتهما؟

كانت الكلمات تخرج مني بصعوبة بالغة من شدة الألم وتلعثم الكلمات في فمي.

قال:

- اهدأ يا معاذ، أخبرتهما أنك تعبت بعض الشيء بنوبات صرع بسيطة وأنك ستخرج من المشفى خلال أيام، فأصرا على القدوم.

أخذت أفكر كيف سيكون شعور أبي وأمي حينما يروني في هذا الحال، وأخذت أدعو الله كثيراً وأحدثه في نفسي،

- يا رب لا تجعلني سبباً في وجعهما، يا إلهي فأنت تعلم أنهما ما بقي لي في هذه الدنيا، يا رب لا توجع قلب أبي وأمي واجعلني قوياً أمامهما يا رب العالمين يا من لا يعجزك شيء، يا رب إن كانت زيارتهما لي ستتسبب في أي ألم لهما فلا تجعلها تتم يا رب العالمين.

أخذت أكلم ربي في داخلي كثيراً وكثيراً ومرت الساعات وكأنها دقائق، وإذ بأمي وأبي وابن أختي وابن عمي يدخلون عليّ الغرفة وأنا ملقى على السرير لا حول لي ولا قوة، واستعنت بأخي حمد كي يساعدني أن أرفع جسدي قليلاً على الوسادة كي أراهم جيداً وأشعرهم بعض الشيء بأني بخير، أخذ أبي وأمي وكل الحضور يحدثونني وأنا خائف أن أتحدث معهم؛ فيفضح أمري بثقل نطقي ويتعبون بسبب هذا الأمر، فأنا الغالي على قلوبهم، كانت كلماتي قليلة معهم جداً حتى لاحظوا عليّ ما أعاني، نظر إليّ أبي ووضع يده على يدي ويده الأخرى على رأسي وقال لي كلمات لن أنساها باللهجة المصرية الصعيدية البسيطة:

- يا معاذ، قوم يا ولدي، أوعى تكسرني في يوم من الأيام يا ولدي، عاوزك شديد وقوي، إنت مريت بأكثر من كده يا معاذ، متخافش والله هتخف يا ولدي وهتكون زي الفل، متخافش يا ضهري، بس تعرف يا معاذ، أنا كان ضهري مصلوب ومسنود ولما شوفتك كده انحنيت، ولو مطلعتش يا معاذ أقوى من الأول وخفيت ضهري هيتكسر يا ولدي، فأوعى وإياك تكون أنت سبب كسرة ضهر أبوك في يوم من الأيام يا معاذ، فاهم وسامع كلامي ولا لأ يا معاذ؟ قوم وخليك شديد كده يا ولدي وإياك تشمت فينا أي حد ولا تشمت حد في كسرة ضهر أبوك بعدك، أنا عارف إنك شديد وقوي وإنك

هتعدي كل ده وأنا واثق في ربنا إنك هتعدي من كل ده يا ولدي، أوعى تطول ماشي؟

سمعت كلمات والدي ولا أستطيع الرد عليه سوى بابتسامة بسيطة ودموعي تنهمر على وجهي من كلماته، فلم أجد أبي ولم أره في هذا الوضع، ولم يقل هذه الكلمات أمامي في حياته، يا إلهي كم تمنيت أن تبتلعني الأرض في هذه اللحظات، قبل أبي رأسي ووقف وأدار رأسه إلى الجانب الآخر وكأنه يحدث أخي ووقف من مكانه وخرج إلى شرفة الغرفة لكي يبكي، نعم أنا أعرفه جيداً وشعرت بالدموع في عينيه وهو يحدثني ولكن أخفاها عني.

أمي جلست بجواري وأيضاً قالت كلمات يكاد القلب أن ينفطر منها، أمي مهما كانت تشعر فلا تريد أن تشعرني بما في داخلها في هذه اللحظات ولكن بدأت أمي تتكلم معي:

- معاذ، الكل كانوا بيخبوا عليا إنك تعبان وإنك في المستشفى، لكن والله من أول يوم دخلت فيه المستشفى يا معاذ وأنا حسيت إن قلبي اتقبض مرة واحدة، ميعرفوش الأغبياء إن الأم بتحس بوالدها غير أي شخص تاني، ما أنا قلبي شافك قبل عيني، مش كده وبس يا معاذ والله إنت حته من قلبي يا نور عيني، شد حيلك كده واجمد كده شويه ولا ستخيب ظني فيك أنا وأبوك، عاوزاك تطلع من هنا كده بسرعة علشان وحشتنا ضحكتك ووجودك في وسطينا وأنا أوعدك أنني مش هبعد عنك تاني حتى لو أنت بعدت أنا هجيلك يا معاذ وهقعد على قلبك غصب عنك وعن عين مراتك وأهي سمعاني أهي.

مي:

- حضرتك تشرفينا يا طنط.

أمي:

- معاذ بس يقوم وأنا هشرفكم غصب عنكم، معاذ كلمة قالها أبوك دلوقتي ليك ركز فيها كويس، أوعى وإياك يا ولدي تكسرنا وقوم وشد حيلك، إنت أجمد وأقوى من أي حاجة وإن شاء الله هتخف.

سمعت كلمات أمي وأيضاً لم أستطع الإجابة عليها بأي كلمة، فدموعي خير مجيب، احتضنتني وقبلت رأسي وأخذت تهدئني وجلسوا معي بعض الوقت وانتهى وقت الزيارة وخرجوا ليعودوا إلى الصعيد مرة أخرى، خرج أخي حمد ليوصلهم وكان معهم الطبيب ليطمئن هم، وبعد دقائق رجع أخي حمد إليّ وقال لي:

- معاذ أرجوك جاهد نفسك واجتهد حتى تعود وتتحسن وتخرج من هنا، فأنا لا أريد أن أخبرك كيف حالة أمي وأبي بعدما خرجوا من الغرفة، أرجوك يا أخي لا تستسلم لأي شيء مهما كانت قوته، فالله أقوى من أي شيء وأنت مؤمن بذلك وتستطيع أن تتغلب على أي شيء.

مرت الأيام ما بين جلسات للعلاج الطبيعي والتمارين الرياضية، وأنا ملقى على السرير، وما بين بعض الأدوية لكي أتحسن من نوبات الصرع التي لا تفارقني، بدأت أحفظ كل يقال لي من نصائح وبدأت أتقرب بعض الشيء من بعض الأطباء المتخصصين في العلاج الطبيعي والتغذية الصحية وأسألهم في كل شيء، فقد اتخذت القرار أن أخرج من هذا المكان في أقرب وقت ممكن، فكم اشتقت للمنزل والأصدقاء والأحباب وجلسات الضحك، حتى بدأت حالتي تتحسن بعض الشيء من نوبات الصرع وبدأت تستقر.

الفصل الرابع والعشرون

اللحظات الأخيرة لي في المستشفى بعد حجز دام لأكثر من ثلاثة أشهر ما بين صراعات داخلية وخارجية، دخل عليّ الطبيب قائلاً:

- أستاذ معاذ، هل يوجد أية خلافات بينك وبين أحد خارج المستشفى من أحد أقاربك؟

قلت له:

- لا، لمَ تقول لي هذه الكلمات؟

قال:

- اسمعني جيداً أستاذ معاذ، أنت شاب صغير وأمامك العمر إن شاء الله، لا أريدك أن تفكر بأن العالم قد انتهى بإصابتك بالتصلب المتعدد، لا بل تذكر بأن الابتلاء يعطيه الله لنا لكي يذكرنا به أو يكشف لنا حقيقة من حولنا.

قلت له:

- الحمدلله على كل حال وفي كل وقت وحين يا دكتور، ولكن لمَ آخر الكلمات التي ذكرتها لي؟

قال:

- لأني أريد أن أعلمك درساً مهماً ولا أريدك أن تنساه أبداً.

قلت له:

- تفضل يا دكتور، أنا أسمعك جيداً.

قال:

- أستاذ معاذ، أريدك أن تتوقع أي شيء من أي شخص وفي أي وقت حتى لا تنصدم في أحد في يوم من الأيام، وفقك الله فيما هو قادم وعجل الله شفاءك، أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه.

وخرج الطبيب ولم أفهم ماذا يقصد بكلماته في هذا الوقت، ووضعت في مخيلتي أنها كلمات تحض على الصبر أولاً وآخراً، بعد ساعات دخل الاستشاري وأخبرني أن وجودي في المستشفى لم يعد له فائدة، لأني ولله الحمد قد تحسنت من نوبات الصرع وهذا ما كانوا يعانون من أجل الوصول إليه، كتب لي تقرير طبي بحالتي، وتوصية طبية أيضاً وبها الدواء الذي سأتبعه في الأيام القادمة مع توصية طبية بضرورة المتابعة مع طبيب متخصص في العلاج الطبيعي، وها أنا أتجهز لأخرج من المستشفى بعد ساعات وأيام وليالي وشهور عانيت فيها ما عانيت ليس وحدي ولكن كل من حولي ولكن تختلف درجات المعاناة من شخص للآخر.

جاء فريق التمريض بالمستشفى يودعني بالوداع الحار، فلقد تعودوا على وجودي وأنا كذلك، فلقد اعتبروني أكثر من الأخ وهم أيضاً كانوا كذلك وأكثر، والأطباء أيضاً، ولكن هذه المرة أخرج ليس على قدمي ولكن على كرسي متحرك! سلمت أمري كله لله ورضيت بالأمر الواقع وها أنا أخرج من المستشفى لأرى ضوء الشمس الذي لم أره من فترة، يا إلهي يا لنا من حمقى في كثير من النعم لا نلقي لها بالاً إلا إذا حرمنا منها، فكم من نعمة أنعم الله علينا بها ولا نشعر بها!

ركبت السيارة ولكن لست لوحدي ولكن بمساعدة مي ووالدتها وأخي، كم هو شعور مؤلم جداً وأنت لا تستطيع رفع قدميك من الأرض لكي تضعها في سيارتك بعدما كنت تلهو وتلعب في كل مكان، كان الألم يعتصرني في تلك اللحظات ولا أحد يشعر إلا بابتسامتي التي تغطي كل ما بداخلي من حزن وحسرات على نفسي، ونحن نسير في الشوارع والطرقات، كل شيء مختلف حولي، كل ملامح القاهرة قد اختلفت وكأني قد سافرت لسنوات طويلة ثم عدت مرة أخرى، شعور بالفرح ممزوج بالحزن العميق لا أستطيع وصفه، فمن اليوم لن أستطيع أن أتجول في هذه الشوارع على قدمي مرة أخرى.

وصلت إلى المنزل وأنزلوني من السيارة ووضعوني على الكرسي وأدخلوني المبنى وأدخلوني المصعد ووصلت إلى طابق شقتي وفتح باب المصعد وها هو باب شقتي يفتح، دخلت وجدتها لم يتغير بها شيء، كنت أنتظر أي مفاجأة من مي تحضرها من أجل عودتي ولكن لم أجد أي شيء قد تغير فيها سوى أنها نظيفة فقط كعادتها ليس أكثر.

مي:

- حمداً لله على سلامتك يا معاذ، نورت بيتك.

أنا:

- سلمك الله من كل شر يا مي.

الكل يهنئني على عودتي للمنزل وأنا في داخلي أكن حزناً لا يعلمه إلا الله، جلسنا نتحدث أنا وأخي ودخلت مي ووالدتها لتحضير الطعام، استأذن أخي حمد ولم يأكل معنا وقال:

- سأذهب للسفر حالاً حتى لا أتأخر، أما عن الطعام فأنا لست جوعان، يومان وأكون معكم إن شاء الله ولكني سأذهب لأطمئن أبي وأمي وأعود بهم إن شاء الله يا معاذ.

ذهب أخي حمد وسافر، حضرت مي الطعام كما أخبرها الطبيب ماذا آكل، وجلسنا لنأكل وحتى هذه اللحظة لا أعرف كيف أستطيع أن أكن بداخلي ما رأيت وما حدث كل هذه المدة، فأنا لا أريد أن أخبرها بأي شيء قبل أن أتأكد بنفسي بحقيقة الأمر، وحتى لا أحرجها أمام أحد مهما كانت قرابته منا.

أكلنا وساعدوني وأدخلوني غرفة النوم، وساعدتني مي لأغير ملابسي وأخذ حمامي الدافئ لأول مرة بعد خروجي من المستشفى، ولكن هذه المرة وأنا لا أستطيع الوقوف على قدميّ، شعرت وكأن مي تعاني بعض الشيء من مساعدتي، ولكن لم أضع هذا الأمر بداخلي في هذه اللحظات، فكنت أعافر معها حتى لا أجهدها، أخذت حمامي الدافئ وغيرت ملابسي بمساعدتها

ومددت جسدي على السرير ومي بجواري، احتضنتني مي وقبلتها بيدها وشكرتها على تعبها معي طوال كل هذه الفترة الماضية وأنا بالمستشفى،

أنا:

- مي أحبك جداً وأود أن أشكرك على كل ما فعلته من أجلي طوال الأيام الماضية، شكراً لكِ يا حبيبتي، لا حرمني الله منك وأبعد الله عنا شياطين الإنس والجن.

مي:

- أتشكرني على واجبي يا معاذ! أنت حبيبي، لا تقل هذه الكلمات مرة أخرى.

أخذنا نتكلم أنا ومي برومانسية مطلقة، فأنا أود أن أنسى كل ما حدث وأن أبدأ صفحة جديدة وأطرد كل ما يدور في ذهني تجاه مي، حتى بدأت أداعبها وتداعبني بعض الشيء كأي زوج وزوجته، وفجأة! أدارت مي وجهها الناحية الأخرى لتنام، قلت لها:

- مي ماذا تفعلين هل ستنامين؟ ألم تشتاق إليّ؟

قالت:

- أنا أسفة يا معاذ، فأنا متعبة.

أنا:

- متعبة! وإن كنت متعبة لمَ كنت تداعبيني يا مي؟

قالت:

- إن كنت تريد شيء فتحرك، آسفه نسيت أنك لن تستطيع التحرك مرة أخرى!

قالت مي هذه الكلمات التي نزلت على قلبي كالصاعقة المدوية، لم أستطع النطق ولو بكلمة واحدة، الشيء الوحيد الذي فعلته هو أنني شعرت وأن

دموعي تنهمر وحدها على وجهي وقلبي يعتصره البكاء ولا أستطيع إخراج أي صوت حتى لا تشعر بي أو أبين لها ضعفي أو انكساري، لم أذق النوم في هذه الليلة حرفياً حتى استضاء نور الصباح، استيقظت والدتها لتطرق الباب علينا لتوقظنا، سمحت لها بالدخول،

والدتها:

- كيف حالك يا معاذ؟ ظننتك نائم حتى الآن.

قلت لها:

- لا لم أنم منذ البارحة، هل بإمكانك مساعدتي وايقاظ مي لمساعدتي لارتداء ملابسي؟

قالت:

- لماذا؟ إلى أين تريد الذهاب؟

قلت لها:

- سأسافر الآن إلى بيت أبي في الصعيد، أريد السفر الآن.

هي:

- كيف ذلك! مي، مي استيقظي لتري معاذ ماذا يقول؟

مي:

- ماذا بك يا أمي؟ ماذا بك يا معاذ؟

قلت لها:

- لا تقلقي أنا بخير يا مي، أنا فقط أريد السفر الآن إلى بيت أبي في الصعيد الآن.

قالت:

- الآن! وكيف ذلك فأنت لم تتخطى أربع وعشرين ساعة منذ خروجك من المستشفى وهذا خطر عليك!

قلت:

- سأسافر الآن، أقسم لكم أنني سأسافر الآن، هل ستساعدونني أم أتصل على حارس العقار ليأتي ويساعدني!

قالا:

- بل سنساعدك.

قلت لهما:

- هل سيأتي أحد معي للصعيد أم لا؟

نظرن إلى بعضهن البعض في صمت وقالا، كما تريد.

قلت لهما:

- إن كان لكما مزاج في ذلك لكان الطلب جاء منكن ولكن نظرتكن لا تعني أنكن تردن السفر في الأساس، وبالتالي سأسافر وحدي، وأيضاً لن أسافر بسيارتي، تأديباً لي سأسافر بسيارة أجرة من أحد المواقف العامة.

قالا:

- وكيف ذلك يا معاذ؟ أرجوك اهدأ!

قلت لهما:

- أنا هادئ جداً ولا أريد أن أتعصب، فساعداني حتى أذهب الآن.

ساعداني في ارتداء ملابسي وأصعداني إلى الكرسي والمصعد والسيارة وطوال الطريق وهن يهدئاني حتى أعود عن قراري وأنا مصر على ذلك، وصلت لموقف سيارات الأجرة وحجزت الكرسيان الأماميان بجوار السائق ووضع السائق الكرسي المتحرك أعلى السيارة، ودعتهن وقلت لهما أنني سأذهب لأيام وأعود بمشيئة الله، سأطمئن على والدتي ووالدي وأهدأ قليلاً وأعود بعد أيام، نظرت إلى مي وكنت أشعر في هذه المرة بالفعل وكأنها النظرة

الأخيرة التي سأراها بها، ليس شعوراً عادياً، ولكنه شعوراً يتملكني وبشدة، فويح نفسي حينما وضعتها في يد من لا يستحق.

الفصل الخامس والعشرون

ودعت مي ووالدتها وسائقي الرجل المحترم الذي كانت عيونه تملأها الدموع وأقلعت السيارة متجهة إلى محافظتي في صعيد مصر، أغلقت هاتفي تماماً في الطريق حتى لا أحدث أحداً تماماً، فأنا لا أطيق الحديث الآن ولا أفكر إلا في أمر واحد؛ كلمات مي التي نزلت على قلبي كالصاعقة المدوية، وكيف لا يهمها أمري ولمَ لم تأتي معي؟ وعلامات استفهام كثيرة جداً لا أفهمها! أخذ السائق يحدثني في الطريق لأنه رآني غير منتبه معه في أي شيء، وبدأ يسألني السائق:

- هو لو مفيش إزعاج لحضرتك ممكن أتشرف بحضرتك؟

أنا:

- الشرف ليا ربي يحفظك، أنا أخوك معاذ.

السائق:

- أهلاً بيك أخويا معاذ، وأنا أخوك حمزة أبو فياض.

أنا:

- أهلاً بيك أبو فياض، يا ترى أبو فياض لقب فقط ولا ابنك اسمه فياض؟

السائق:

- لا ده اسم ابني، أنا معايا فياض ومعايا سعاد الاتنين توأم أربع سنين.

أنا:

- ما شاء الله تبارك الرحمن، ربنا يحفظهم ليك حبيبي ويرزقك برزقهم إن شاء الله ويبارك لك فيهم.

السائق:

- وأنت يا أخويا معاذ، معاك أولاد؟

أنا:

- لا والله الحمد لله لم يرزقني الله بعد، دعواتك يا أبو فياض.

السائق:

- إن شاء الله يا أستاذ معاذ ربنا هيكرمك متقلقش وهيرزقك بأولاد وبنات هيخلوك تزهق من عيشتك من شقاوتهم متستعجلش، هيخلوك إنت والمدام تكرهوا عيشتكم وتقولوا ولا يوم من أيام قبل الإنجاب.

أنا:

- بالعكس يا أبو فياض، الأولاد والبنات رزق ونعمة وشقاوتهم وحدها فرحة تملأ البيت.

وأخذنا نتحدث أنا والسائق وكأننا نعرف بعضنا البعض منذ فترة طويلة حتى توقفنا في أحد الاستراحات على الطريق، وأنزل الركاب جميعاً ليأخذوا قسطاً من الراحة وبعدها أتى إليّ وأنزل الكرسي وساعدني وأنزلني وأخذني إلى المرحاض وساعدني في قضاء حاجتي، وجلسنا مع بعضنا البعض نتحدث

حتى ينتهي جميع الركاب من استراحتهم وقضاء حاجتهم، وبدأ يسألني مرة أخرى،

السائق:

- أنا آسف أستاذ معاذ في السؤال بس أنا ملاحظ إن حضرتك تعبان شوية ومسافر لوحدك، مش المدام اللي وصلت حضرتك الموقف ولا أخت حضرتك ووالدتك؟ أنا آسف في السؤال بس المفروض كان حد يكون مع حضرتك في السفر!

أنا:

- المفروض يا أبو فياض متركزش بقا هههههه.

السائق:

- أنا آسف لو كنت أزعجتك بسؤالي، يلا بينا علشان الركاب كلهم جهزوا خلاص.

أخذني السائق إلى السيارة وساعدني في الصعود مرة أخرى وأخذ الكرسي ووضعه مرة أخرى أعلى السيارة، وعند اقترابي من المدينة التي توجد بها قريتي الجميلة اتصلت بأخي حمد..

أنا:

- السلام عليكم، كيف حالك يا حمد؟

حمد:

- الحمدلله يا معاذ، طمني عليك، وأين أنت! أسمع صوت ضجيج حولك؟

أنا:

- أريدك أن تأتي إليّ في خلال دقائق إلى موقف سيارات المدينة، فأنا دقائق وسأكون هناك.

حمد:

- وكيف ذلك؟ ومن معك؟ ومتى تحركت من القاهرة؟ ولمَ لم تتصل بي يا معاذ لآتي إليك لأجلبك؟

أنا:

- حمد، تعالى وخذني أنا وحدي، تعالى إليّ فليس هنالك وقت للحديث، تعالى إليّ ونتحدث في السيارة.

حمد:

- حالاً يا أخي وسأكون في انتظارك، خلال دقائق وأكون هناك.

أخذت أقلب في هاتفي وأنظر حتى أرى أي رسالة اطمئنان أو أي اتصال من مي أو أهلها بي، فلم أجد! قلت في نفسي، لعلها شبكة الاتصال والطريق الصحراوي وغلق الهاتف وراء عدم وصول أي شيء لي، وأخذت أبرر لنفسي كل شيء حتى النهاية.

وصلت مدينتي ووجدت أخي حمد ينتظرني بالسيارة، أخذ حقيبتي وأنزلني هو وأبو فياض من السيارة ووضعاني في سيارتنا ووضع الكرسي في حقيبة السيارة الخلفية، وأخذنا نتحدث في الطريق،

حمد:

- حمدلله على سلامتك يا معاذ، أنرت البلد بأكملها يا أخي.

أنا:

- سلمك الله من كل سوء وشر يا حمد.

حمد:

- أين مي يا معاذ! ولمَ لم تأت معك؟

أنا:

- أردت أن آتي وحدي هذه المرة يا حمد ولم أرغب في مجيء أحد معي.

حمد وعلامات التعجب على وجهه:

- لا عليك يا أخي، الأهم أنك بخير، أنت وحدك تكفي ويكفي وجودك يا معاذ.

اتصل حمد بأمي في الطريق وقال لها:

- أجلب لكِ هدية يا أمي ستفرحين برؤيته.

قالت أمي له:

- وأنا منتظرة يا حمد وأشعر بها من قبل أن أراها.

وصلت إلى قريتنا مع حمد ووجدت أبي وأمي وإخوتي ينتظروني أمام المنزل جميعاً، نعم كتلك المرة التي وصلت بها وقت عودتي بعد قبولي بكليتي، وتلك المرة أيضاً بعد عودتي بعد تحقيق النجاح الكبير الذي وصلت إليه، ولكن هذه المرة تختلف بعض الشيء! فأنا لا أتحرك! قابلوني بالأحضان وأنا على كرسي متحرك ووسط الزغاريد والأفراح وكأنه عرسي، أدخلوني المنزل وجلس الجميع حولي وأراح حمد جسدي على السرير وأخذ الكرسي إلى الداخل حتى لا يراه أحد وينظر إليّ أي نظرات تؤذيني نفسياً كنظرات الشماتة والشفقة.

كنت فرحاً كثيراً برؤية الفرحة في عين أبي وأمي وإخوتي ولكن يعتصرني الألم بعدم سؤال مي إلى الآن عليّ، هل وصلت أم لا ولا أي شيء!

مرت الدقائق حتى أرسلت أنا إليهم رسالة بعد أن اتصلت بهم ولم يردوا،

أنا:

- مي، لمَ لم يسأل عليّ أحد منكم منذ أن تحركت حتى الآن؟ أين أنتم كل هذا الوقت؟

فلم أجد الإجابة على رسالتي إلا بعد مرور ساعة منذ إرسالها وأضاء هاتفي،

مي:

- آسفة يا معاذ انشغلت عنك كثيراً اليوم.

أنا:

- آسفة؟ لماذا الأسف! عادي جداً يا مي، زوجك يسافر وحده وفي ظروف مرضية ولا يجد حتى ولو رسالة منكم تطمئنون عليه وفي النهاية تقولين آسفة، هل تعتقدين الأسف وحده يكفي؟ أخبريني أيضاً في ماذا انشغلتِ؟

مي:

- معاذ لا تغضب مني رجاء، فاليوم قررت أن أنقل المنقولات الزوجية الخاصة بنا إلى شقة أخرى، لأني سئمت العيش في هذا المكان.

أنا:

- وكيف ذلك؟ كيف تأخذين مثل هذا القرار بدون عملي؟

مي:

- لم أخبرك لكي تكون لك مفاجأة سعيدة في شقتنا الجديدة وقت عودتك من الصعيد يا معاذ، فلا تغضب أرجوك مني.

قلت لها:

- لا أغضب! حاضر يا مي لن أغضب، عندما أعود سنتحدث في هذا الأمر.

وأغلقت الاتصال في وجهها والغضب يظهر على وجهي، أخذ الكل يسألني،

- ماذا بك يا معاذ؟

أنا:

- لا يوجد شيء، فقط أريد أن أستريح بعض الشيء، هل تسمحون لي بالراحة إن أمكن ذلك.

خرج الجميع من الغرفة وتركوني بين حوائط الغرفة وسقفها، أتأمل كل ما يحدث وأفكر في كل شيء وأعيد كل ثانية مرت في حياتي أمام عيني، يا إلهي ما كل هذا الذي يحدث لي! أخذت أفكر وأفكر حتى غلب عليّ النعاس وذهبت في نوم عميق ولم أشعر بأي شيء حولي.

وبعد مرور دقائق بالنسبة لي وإذ بأمي توقظني:

- معاذ، معاذ، قم يا ولدي، عمك وزوجته أتيا ليطمئنا عليك وأنت أخذت وقت طويل في نومك، استيقظ يا ولدي.

نظرت إلى الساعة في هاتفي وإذ بالوقت متأخر عما كنت أظنه، والعشاء قد أذن ووقت الصلاة قد رحل ولم أجد أي اتصال أيضاً من مي ولا من أهلها، ساعدوني لأغسل وجهي وأعود مرة أخرى إلى السرير قبل دخول عمي وزوجته وأبناءه، ودخلوا وجلسوا معي لساعة كاملة ورحلوا بعد حديث طويل جداً بحضور والدي وأمي وإخوتي وجميع من في المنزل، فكانت جلسة جميلة وطالما افتقدتها لسنوات عديدة، بعد أن رحلوا جاءت لي أمي بالأكل الصحي وأطعمتني بعد أن صليت العشاء وجلسنا نضحك ونتسامر في كلام مختلف، وقالت:

- لن نحدثك أنا وأبيك في شيء اليوم ولكن لنا جلسة غداً يا معاذ لكي نتحدث في بعض الأمور إذا سمحت لنا.

قلت:

- بالطبع يا أمي، أنا تحت أمركما في أي وقت.

وانتهى اليوم وخرجوا جميعاً إلى النوم عدا أخي حمد، فنام تحت قدمي بجوار السرير لربما احتجت أي شيء في أي وقت، وأخذت الأفكار تلازمني مرة أخرى حتى غبت عن العالم وغلبني النعاس وذهبت في نوم عميق لأرى نفسي في المنام تائه وأبحث عن مي ولا أجدها في أي مكان، وفجأة طعنت في ظهري، واستيقظت مفزوعاً وكأن الطعنة في الحقيقة وليست في منام،

استيقظ أخي حمد وأخذ يطمئن ويسقيني المياه ويقرأ لي آية الكرسي حتى هدأت وعدت للنوم مرة أخرى، لأستيقظ في اليوم التالي على شيء لم أكن أتوقعه في يوم من الأيام.

الفصل السادس والعشرون

أمسكت بهاتفي فوجدت اتصالات كثيرة جداً جداً من إخوة مي، وكان أكثرها من أخيها الذي يكمن في إحدى الدول العربية وهو أيضاً من كان يشاركني في بعض المشاريع، واشعارات كثيرة على الواتس آب.

قمت بفتحها وجدت رسالة منه:

- معاذ كيف حالك! أرجو أن تحدثني للضرورة القصوى إن أمكن ذلك.

اتصلت عليه:

- السلام عليكم، كيف حالك يا معاذ!

أنا:

- الحمدلله على كل حال، أنا بخير، أنت كيف حالك؟

قال:

- الحمد لله بخير، أريد أن أحدثك في أمر هام، فأنت مثل أخي الأصغر ومي أيضاً أختي.

قلت له:

- تفضل حبيبي، أنا معك!

قال:

- حدثتني مي البارحة متأخراً وهي تبكي بكاء شديداً،

قلت له:

- ماذا بها! ما الذي حدث؟

قال:

- معاذ أريدك أن تسمعني جيداً، كلنا خطائين وخير الخطائين التوابون، مي أخبرتني أن هناك فتاة حدثتها وأخبرتها بأنك على علاقة بها وأرسلت أيضاً لمي محادثات بذلك بينك وبينها.

قلت له في استهزاء:

- فتاة وأي فتاة؟ فأنا أحدث الكثير والكثير، أي واحدة منهن؟

قال لي:

- أنا لا استهزئ بكلامك، فرجاء صارحني بكل شيء يا معاذ حتى أستطيع أن أعدل الوضع كاملاً؟

قلت له:

- أنت اسمعني جيداً، أولاً الفتاة التي حدثت مي أخبرتها أنني كنت أحدثها من أي حساب على الفيس بوك أم الواتس آب أم موقع آخر؟ هذا أول سؤال، السؤال الثاني متى آخر مرة حدثت فيها هذه الفتاة؟

قال:

- مي أرسلت لي المحادثات التي أرسلتها لها الفتاة، فظاهر أمامي أنها من الحساب الخاص بك على الفيس بوك الذي نعرفه جميعاً، وآخر محادثة كانت بينك وبينها منذ شهرين تقريباً.

قلت له:

- جميل جداً، أولاً كيف أستطيع أن أحدث هذه الفتاة في هذا الوقت وأنا لا أستطيع الحركة نهائياً وكان ممنوعاً عني الإمساك بالهاتف المحمول في هذا الوقت! ثانياً كيف أحدث فتاة وأنا متزوج وأيضاً الحساب الذي تتحدث عنه مي تعرف الإيميل الخاص به وأيضاً كلمة السر، أليس هذا غريب بعض الشيء!

قال لي:

- أتقصد أن المحادثات!

قاطعته قائلاً:

- بالضبط المحادثات مفبركة وعيب عليك أن تحدثني في شيء مثل هذا وأنتم جميعاً تعرفونني جيداً، رجاء أرسل لي هذه المحادثات لأؤكد لك أنها مفبركة أو على الأقل سأذهب بها لعمل محضر في قسم مباحث الاتصالات والإنترنت وأعرف من وراء كل هذا.

قال لي مرتبكاً:

- لا، لا أنا سأحل كل ما حدث، آسف لك يا معاذ وآسف على ظني بك ولكن أحببت أن أتأكد منك، فأنت تعرف غلاوة مي لدينا، فهي أختنا الوحيدة ويجب أن نخاف عليها.

قلت له:

- إن كنتم تخافون عليها كما تقول ما كنتم تركتموها تنقل أي شيء من الشقة بدون علمي، كنتم وجهتموها للصواب، هذا إن كنتم حقاً تحبون لها الخير، أنا لم أسمع صوتك منذ شهور ووقت اتصالك لتعاتبني!

قال لي:

- والله كنت أتصل دائماً لأطمئن عليك من مي، آسف لك على تقصيري وسآتي إلى مصر لكي أطمئن عليك يا معاذ، سامحني على أي تقصير.

قلت له:

- لا عليك، أهم شيء اتصل على مي وقل لها ما حدث وأن هنالك من يريد الوقيعة بيننا، فلا تصدق أي شيء تسمعه أو تراه.

قال:

- سأتصل بها الآن، فلا تحزن يا معاذ من أي شيء، أستودعك الله.

قلت:

- ونعم من استودعت، في حفظ ورعايته.

وأغلقت الاتصال، أخذت أفكر، من يا ترى الذي فعل هذا الشيء حتى أصابني الإعياء والصداع الشديد، ما عدت أتحمل الألم فأخذني أخي حمد بالسيارة وأختي الزهراء وأبي وذهبنا إلى طبيب متخصص بأمراض المخ والأعصاب بالمدينة، ورأى الفحوصات الطبية الخاصة بي والحمد لله أن لديه الخبرة في مرض التصلب المتعدد، فأعطاني المسكن اللازم لحالتي وغير لي بعض الأدوية وقال لي:

- إذا استمرت الأعراض لديك مع هذا التنميل في يديك لأكثر من ثمانية وأربعين ساعة ستأتي إلي لتأخذ جلسات سوليميدرول «نوع من عقاقير الكورتيزون» لأنها في الغالب ستكون هجمة للأسف الشديد.

عدنا للمنزل وبدأت أتصل بمي ولم تجبني وكانت والدتها هي من تجيب على اتصالاتي ورسائلي بحجة أن مي حزينة مما حدث وتريد أن تهدأ قليلاً وتتحدث معي أو أعود من الصعيد حالاً وأراضيها.

قلت لها:

- أنا الآن متعب جداً والطبيب أخبرني احتمالية وجود هجمة من التصلب المتعدد على جسدي، فمن المفترض أن تكون مي بجواري الآن وليس العكس، فلندع العتاب لوقته.

قالت:

- يا معاذ، مي صغيرة في السن وتعتبر طفلة، فرجاء تحملها قليلاً.

قلت لها:

- حاضر إن شاء الله، آسف سأغلق الاتصال الآن لأستريح، السلام عليكم.

أغلقت الاتصال وهاتفي كلياً ليومين كاملين ولم تتصل مي ولا أحد من أهلها بأي شخص في المنزل ليطمئنوا عليّ، وبعد مرور يومين ما زالت الأعراض كما هي، بل وتزيد، فذهبت إلى الطبيب وقام بحجزي داخل المستشفى لمدة خمسة أيام لأخذ الجرعات وأكون تحت رعايتهم، وفي اليوم الثالث لي في المستشفى اتصلت أنا بمي، فأجابت على اتصالي،

أنا:

- السلام عليكم، كيف حالك يا مي! أخيراً قمتِ بالرد عليّ، أين أنتِ من أيام ولمَ لا تجيبي على اتصالاتي ورسائلي يا مي! حتى الاطمئنان عليّ لم يحدث! لمَ كل هذا؟

قالت لي كلمات تمنيت وأن تنشق الأرض وتبتلعني قبل سماع هذه الكلمات منها، فما أصعب الكلمات التي تخرج ممن تحب لتسكن كالسكين في القلب!

قالت:

- يا معاذ آسفة لن أستطيع أن أكمل حياتي معك.

قلت لها:

- مي! ليس هذا وقتاً للتهريج والضحك، ما الذي تقولينه!

قالت:

- أنا لا أهرج ولا أضحك يا معاذ، فأنا لا أستطيع أن أكمل حياتي مع إنسان عاجز، وأنت لا ترضاها على أختك أن تكمل حياتها في مرارة العيش مع إنسان عاجز عن الحركة.

لم أستطع تحمل الكلمات من فمها وقاطعتها قائلاً:

- صدقت يا مي أنا لا أرضاها لأختي تعرفين لماذا؟ لأن أختي لا تستطيع النطق بهذه الكلمات التي نطق بها فمك، فأنا لست عاجز يا مي وإن كنت عاجز عن الحركة أعدك أنني سأعود وأتحرك، ولكن للأسف أنتِ فقدت التربية والأصل، فقدت الإنسانية بكل معانيها بنطقك لهذه الكلمات، كيف استطعت أن تقولي هذه الكلمات؟ اتعرفين يا مي بعد هذه الكلمات التي نطقت بها إن أتوا بك إليّ ومعك أضعاف وزنك ذهباً أنا من لن يقبل بالعيش معك بعد هذه اللحظة، فانت لست أصيلة ولن أخطئ في حقك ولو بكلمة ولكن إن كان أبيك وأمك واخوتك يوافقون على كلماتك هذه فرحمة الله على بيتك وأصلك الذي نشأت منه، ومن اليوم لا أريد سماع صوتك وكل ما كان بيننا كتاب وسأقوم بحرقه الآن، وحدثي إخوتك وأهلك بتصفية كافة الحسابات بيننا، فأنتم خسارة فيكم أي شيء قمت بتقديمه لكم.

قالت وبكل برود:

- ليس لك عندنا أي شيء، فكل ما تريده هذا ثمناً لوقوفي بجوارك وتعبي أنا ووالدتي طوال الفترة السابقة ووقت مرضك.

قلت لها:

- أنت لا تستحقين أي شيء، يا إلهي ما كل هذا الحقد والكراهية التي نشأت بداخلك! أنا تحملتك كل الفترة السابقة ووالدتك تعرف بتعبك ولم أخبرك خوفاً على مشاعرك وأنت تتركيني هكذا وقت حاجتي إليك وأيضاً بكلمات تقتلني، حسبي الله وكفى فيكي وفي كل من على شاكلتك ولكن أريد أن أخبرك بشيء، أنت لا تعرفين أنني قد علمت به.

قالت:

- وما هو؟

قلت لها:

- أنا رأيت لك بعض الصور مع شخص آخر يا مي وكل ما حدث لي بسبب صدمتي مما قد رأيت، وما تخيلت أنك في يوم من الأيام تكذبين عليّ أو تخونيني، لم أتوقع هذا منك وكنت أكذب عيوني مما رأيت وكنت أحسبها أنها مفبركة ولكن تأكدت من صحتها، ومن اليوم لن يكون بيني وبينك أي شيء، فانت لا تستحقين العيش معي.

سمعت كلماتي وأغلقت في وجهي الاتصال، ومن وقتها قرابة العشرة أيام ولا أحد منهم يجيب على اتصالاتي ورسائلي ولا أي اتصال من أهلي، هممت للسفر إلى القاهرة لتصفية كل هذا وإذ بي أدخل في دوامة أخرى ومشكلة كادت أن تنهي حياتي، كما انهت حياة الكثيرين حولي.

الفصل السابع والعشرون

أثناء وجودي في المستشفى وترددي على الطبيب وقت الهجمة، تمت عدوتي بفيروس كورونا وللأسف مريض التصلب المتعدد عند إصابته بأي عدوى خارجية يعاني ويعاني، فكيف بفيروس بحجم فيروس كورونا! تم عزلي منزلياً ولكن سرعان ما ساءت حالتي وتم نقلي إلى المستشفى الخاص بعزل المرضى المصابون بالعدوى، الفيروس في شدته ولم يتم اكتشاف مصل له حتى الآن وكل الأدوية التي يعطونها للمرضى في هذا الوقت كلها اجتهادات وأبحاث طبية، ساءت حالتي أكثر فأكثر وتم وضعي على جهاز التنفس الاصطناعي، وفي هذا الوقت تم إصدار أمر من أطباء المتخصصين في التصلب المتعدد بوقف الدواء المختص بالتصلب، لأنه من الأدوية التي تقلل المناعة داخل الجسم، فكانت الحرب الحقيقية من كل الاتجاهات.

يدخل المرضى العزل في الرعاية يوم والثاني ويخرجون موتى، يا إلهي متى سيكون دوري اليوم أم غداً؟ في كل لحظة تمر بي وأنا أنتظر فيها الموت، وكنت من أوائل الأشخاص في مصر الذين أصيبوا بفيروس كورونا من مرضى التصلب المتعدد، فكان الاهتمام مكثف جداً من معظم الأطباء من مختلف المحافظات بي، جزاهم الله خير الجزاء، الكل يتصل بي أو بأخي وأبي أو بالأطباء داخل العزل ليتابعوا معهم حالتي، الكل يتصل كل يوم عشرات الاتصالات من الأقارب والأصدقاء والغرباء ولكن يا حسرتاه! فلم تتصل مي ولا أحد من أهلها كي يطمئنوا عليّ وكأنهم علموا بحالتي من الخارج وينتظرون موتي اليوم قبل الغد!

مرت عليّ الأيام وحالتي النفسية والصحية تسوء يوماً بعد يوم، حتى سمعت كلمات من أحد الرجال الذين كانوا متواجدون معي في رعاية العزل الطبي، قال وبصوت مرتفع:

- أخبروا أولادي أنني عشت طوال عمري أتلهف لرؤية ابتسامتهم في أي وقت، أخبروا أولادي وزوجتي وأهلي أنني عشت عمري كله أكدح وأشرب مرارة العيش من أجل أن يكونوا بخير، أخبروهم أنني كنت أتمنى منهم أن يسألوا عني ولو سؤال واحد، أخبروهم بأني سأقف أمام رب العباد وأقول يا رب أنا غير راض عنهم، أخبروهم بأن الدنيا زائلة وعند الله تجتمع الخصوم.

وبعد دقيقة واحدة يركض الجميع نحو هذا الرجل، ما الذي حدث! فاضت روحه لمن أرحم به من أولاده وزوجته وأهله جميعاً، يا إلهي كيف سيقابلون الله وماذا سيقولون له يوم لا ينفع مال ولا بنون؟ وجاء لي أحد الأطباء دكتور يدعى (أمجد) وقال لي:

- أستاذ معاذ، أنا قريب جداً من خالك الدكتور سراج وهو حدثني عن كل ما تمر به من صراعات أسرية، فهل تسمح لي أن أقول لك بعض الكلمات وتتقبلها مني!

قلت له وأنا في غاية التعب:

- تفضل يا دكتور.

قال:

- هذا الرجل الذي توفي أمامك من دقائق يمتلك من العقارات والأراضي ما لم يمتلكه نصف سكان المدينة بأكملها، وقبل دخوله المستشفى الكل كان يلتف حوله والحاج فلان ذهب والحاج فلان أتى، ومنذ دخوله المستشفى بكورونا لم يأت أحد إلى المستشفى ولو حتى إلى الاستقبال ليسأل عنه ولو حتى باتصال هاتفي، وأبناءه منهم المستشار ومنهم المهندس ومنهم المعلم وزوجته مديرة لمدرسة وما شاء الله لا قوة إلا بالله، عائلته بأكملها تمتلك من المناصب ما لا يعد ولا يحصى، وها هو أتى إلى هنا ولم يسأل عنه

أحد وسمعت كلماته بنفسك، لا تحسب أنه مات بسبب الكورونا، لا بل أنه توفي بسبب ما وصل إليه من حالة نفسية بسبب قلة سؤالهم عنه، فنصيحتي لك أستاذ معاذ، أخرج من هنا وساعد نفسك بنفسك رجاء ولا تهتم لأحد، فنفسيتك الجيدة هي من تساعدك على الشفاء والنهوض من جديد، وأريدك أن تأخذ حقك من كل من حولك ولكن بنجاحك ونهوضك ولا تشمت أحداً بك مهما حدث.

سمعت كلمات دكتور أمجد وتعلقت كلماته في قلبي وليس عقلي فقط، وعاهدت نفسي أن أعود وأن أساعد نفسي بنفسي وإن لم يكن من أجل نفسي، سيكون من أجل أبي وأمي وإخوتي ومن يحبونني حقاً، ومرت بعض الأيام وخرجت من المستشفى إلى منزل والدي لعزل أيضاً لبضعة أيام أخرى حتى لا يصاب أحد بسببي، وبعد أيام أخرى أجريت مسحة طبية للتأكد من التعافي من كورونا نهائياً ولله الحمد النتيجة سلبية.

جلست مع أبي وأمي وإخوتي نضحك وكأن كل ما مضى صفحة ومزقتها، وإذ بأبي يقول لإخوتي:

- أريد أنا ووالدتكم الجلوس مع معاذ بضع دقائق وحدنا إن أمكن.

خرج إخوتي وأخذ أبي يحدثني،

أبي:

- معاذ، أعلم أن كل ما تمر به يا ولدي ليس بالهين ولا السهل عليك ولا أعرف كيف أهون عليك، ولكن كل ما أود أن أقوله لك أنا ووالدتك أننا نريدك بجوارنا يا معاذ، وها هو تعبك قد بين لك من يحبك حقاً ومن كان يعيش معك منافقاً، فاحمد الله يا ولدي وانسى كل ماضيك وأبدأ صفحة جديدة من حياتك وتعلم الدرس جيداً.

قلت له:

- درس! درساً واحداً يا أبي! أنا تعلمت منهجاً كاملاً وليس درساً واحداً، أعدك يا أبي أنني من اليوم سأساعد نفسي للعودة من جديد وسأرد كل شيء فعل بي ولكن بنجاحي، لأجعل كل من باعني يتمنى أن يعود ويعتذر ولن أسمح له بالعودة مرة أخرى.

احتضنني أبي وأمي وأخذا يدعوان لي كثيراً وقالا:

- نحن معك يا ولدي حتى تعود إن شاء الله كما كنت وأفضل مما كنت، ولن نتركك، فقط فكر جيداً في مستقبلك مع مي قبل أخذ أي قرار يا معاذ، فخراب الحياة يا ولدي ليس بالسهل.

قلت لهم:

- مي! أي مي! مي بالنسبة لي ماتت ولن تعود، كما أصبحت أنا في حياتها ميت ولن أعود، ولكن حقي لن أتركه أبداً، طالت الأيام أم قصرت سيأتي اليوم الذي سيرد إليّ حقي ولكن مي من الآن وبالنسبة إلي محرمة عليّ ولن تعود إلى حياتي مرة أخرى مهما حدث.

قال لي أبي وأمي:

- نريدك أيضاً أن تعيد حساباتك مرة أخرى قبل أخذ القرار النهائي، ونريدك من الغد أن تبدأ في جلسات العلاج الطبيعي والتغذية الصحية يا معاذ، أنا تحدثت مع خالك واتفقت معه أن يأتي لك بطبيب علاج طبيعي في المنزل هنا ليساعدك على العودة، فقد قرأت أن التمارين الرياضية والعلاج الطبيعي والتغذية الصحية تساعد مرضى التصلب المتعدد على الحركة، أكيد ليس بسرعة كبيرة ولكن مع الوقت يعود، اتفقنا يا معاذ؟

أنا:

- اتفقنا يا أبي، قسماً بربي أحبكم كثيراً ولا أعرف ماذا أقول لكما، فقط لا حرمني الله منكما وأدامكما الله شعلة أمل وجنة على الأرض في حياتي.

الفصل الثامن والعشرون

منذ اليوم التالي بدأت في البحث على الفيس بوك عن جروبات الخاصة بالتصلب المتعدد وقمت بالاشتراك بها جميعاً، وبدأت أتعرف على أشخاص جدد والتقرب من الأشخاص الذين يعطون الطاقة الإيجابية للمرضى، وبدأت أنا أكتب أول كلماتي عن التصلب المتعدد وكان المقال كالتالي:

رسالة إلى مرضى التصلب المتعدد، أيها التصلب المتعدد هل تعتقد أنك انتصرت عليّ عندما حرمتني من ملذات الحياة؟ هل أعجبك جسدي الآن وأنت تجعلني تارة لا أستطيع الحركة وتارة أخرى لا أستطيع الرؤية؟ هل يعجبك صراخي المكتوم من شدة الألم الذي تسببه لي من وخذ إبرك في أعصاب جسدي؟ هل يا ترى تتلذذ برعشة جسدي وتنميله معظم وقت يومي وأنت تهاجمني؟ أم هل يا ترى يعجبك نظرة الناس إليّ بشفقة وهم لا يفهمون ما أعاني بسببك؟ أخبرني أيها التصلب أيعجبك عجزي عن قضاء حاجتي في وقت تعبي وأنا أحرج أن أطلب ممن حولي المساعدة على قضاء حاجتي؟ أم أنك تتغذى على الألم الذي يعتصر دماغي من وخزات إبرك وصداع رأسي؟ أخبرني هل وجدت راحتك عندما رأيتني أخسر معظم من حولي بسببك ؟ عملي وصحبتي وحياتي الطبيعية؟ هل وهل وهل وهل؟ سحقاً لك فأنت لا تعرف من أنا ولا تعرف من أنت!

أنا أخبرك، أنت ما هو إلا جند من جنود الله توصل لنا عبرة أو تحبط عنا وزراً أو تمحو عنا خطايا أو ترفعنا بألمك لنا درجات عند رب البرايا، أو تردنا وتذكرنا بعالم الغيب والشهادة رب العالمين.

أما أنا، فأنا الصابر على ألمك، أنا الراضي بقضاء من أمرك، أنا الراجي رحمة من بعثك، أنا القاهر لك بقوة من تسبحه ليل نهار، أنا من يتلذذ بألمك بقول الحمد لله على نعمة من أرسلك لي لكي أتذكره ليل نهار، أنا الصخرة التي لن

تستطيع هزيمتي ما دام قلبي مليء بذكر الجبار، أنا من هزمتك بالرضى على كل ما سببته لي، وأنا من سيهزمك بعزيمتي ويقيني بكرم رب العالمين.
أعلمت أنا؟ أنا من قال في رب العالمين من أرسلك وأمرك «وبشر الصابرين» أعلمت من؟
إن عجز الطب عن علاجك وإن لم يجدوا لك علاجاً وأنا على قيد الحياة وكنت سبباً في مماتي، لا تضع في مخيلتك بأنك هزمتني لا، بل ضع في يقينك أنك كنت سبباً في استعجال لقائي بحبيبي رب العالمين، وأنا على يقين إن لم يكتب الله علاجاً ينهيك الآن ويجعل لي نصيباً منه، أنا على يقين أن في القريب العاجل سيتم القضاء عليك بقدرة الملك عالم الغيب والشهادة، القاهر فوق كل شيء.
هذه رسالتي لك، فتذكر أن في يوم من الأيام قابلت في طريقك من لا يهزم ولا يهرم من ألمك، كلماتي إليك من القلب

كان هذا أول منشور لي عن التصلب المتعدد وكل كلمة حقاً خرجت من صميم قلبي ولاقى هذا المنشور إعجاب كبير وانتشار واسع بين المرضى في مختلف الدول العربية، وبدأت منذ هذه اللحظة كتابة المقالات والمنشورات التي تعطي الإيجابية في نفوس المرضى وتحسن من حالتهم النفسية، وأقوم بعمل فيديوهات دعم نفسي للمرضى خاصة وللمجتمع عامة، وحظيت بمكانة وقبول وسط الجميع في فترة قصيرة جداً.
بدأت جلسات العلاج الطبيعي والتمارين الرياضية في المنزل، وكنت أرى كثيراً من المرضى يعانون من قلة الحركة، فمعظم الكلمات التي كنت أقرأها كانت تحطم النفسية ولكن لم أيأس من ذلك واتفقت مع طبيب العلاج الطبيعي أن يقسم لي التمارين الرياضية وجلسات العلاج الطبيعي على مراحل وأن يصارحني منذ البداية بكل شيء، هل سيكون هناك تحسن أم لا؟

فقال:

- كل شيء بيد الله ولكن بإصرارك وعزيمتك واستمراريتك واتباعك لما سوف أقوله أضمن لك إن شاء الله سيكون هناك تحسن، ولكن ليس كما تتخيل خلال أسبوع مثلاً، لا على الأقل شهرين ل ثلاثة أشهر.

قلت له:

- وأنا معك وسأتبع كل ما ستقوله لي يا دكتور خطوة بخطوة، ولكن أريدك أن تكتب لي البرنامج كاملاً بالتفصيل، ما الذي سنسير عليه منذ البداية وحتى المشي على قدمي مرة أخرى إن شاء الله.

ومن تلك اللحظة بدأ التحدي الحقيقي لأثبت لنفسي وللجميع أنني أستطيع أن أكمل حياتي في وجه أي شيء وأني أقوى من أي شيء، أياً كانت قوته.

الفصل التاسع والعشرون

قال لي الطبيب المختص بالعلاج الطبيعي:

- قبل البدء في أي شيء هناك بعض النقاط ضعها في ذهنك قبل وأثناء عمل التمارين..

1- إياك واليأس، عافر مع أخذ الحيطة من الإجهاد الزائد عن اللزوم، فإن شعرت بأي إجهاد أثناء التمرين أخبرني.

2- تذكر أنك لم تتمرن في السابق، فمن الممكن الشعور بالتعب في بداية الأمر، فخذ قسط من الراحة عند أي شعور بالتعب ولا تضع في داخلك أي إحساس بالتحطم.

3- سنبدأ ببطيء، فلا تأخذك الحماسة وتحسب نفسك أننا خلال يومين سننتهي وتجهد نفسك، لا فسنبدأ بالتدريج أولاً.

4- إياك أن تقارن نفسك بأي شخص أو بما كنت تستطيع عمله في السابق، لكن ضع في نفسك الثقة أنك تستطيع أن تعود كما كنت، ولكن تدريجياً بدون ملل.

5- إذا أصبت بأي إجهاد بسبب التسرع أو زيادة في أي عرض لديك أخبرني رجاء يا أستاذ معاذ، واجعل رقم الطبيب المعالج لك للتصلب المتعدد معي لكي أتابع معه خطوة بخطوة.

6- يجب عليك أثناء التمارين أن تتنفس بعمق ولا تحبس أنفاسك وألا تجهد نقاط الألم في جسمك، حتى لا تتعرض لضغط أو إجهاد عضلي مؤلم.

7- قبل البدء في أي يوم يفضل البدء بعد حمام منعش.

8- لا تيأس، لا تيأس، لا تيأس ولا تمل أبداً، فأنا سوف أعمالك كالطفل الذي يتعلم المشي على قدمه لأول مرة، فلابد من السقوط مرات ومرات.

هذه النقاط مهمة جداً أستاذ معاذ قبل البدء في أي شيء، رجاء التركيز عليها جيداً، وفيما يلي تمرينات تساعد على استطالة وتقوية العضلات وزيادة التوازن، أهم شيء الاستمرارية وعدم اليأس وأيضاً سأكتبها لك مقسمة إلى عدد الأيام والأسابيع، سأبدأ معك ب 7 تمارين بعد الإحماء وتنبيه العضلات ببدء التمرين وهي:

#الأسبوع الأول:

1- تطويل العضلات الخلفية للفخذ:

- الجلوس مع محاولة لمس أصابع الساق الممدودة دون ثني الركبة، حتى تشعر بالشد بالعضلة الخلفية للفخذ، أثبت ثواني، كرر التمرين مجموعة 5 مرات لمدة أسبوع..

2- تطويل العضلات الداخلية للأرداف:

الجلوس بوضع التربيع، حتى تشعر بالشد في العضلات الداخلية للأرداف، أثبت ثواني، كرر التمرين مجموعة 5 مرات لمدة أسبوع.

3- تطويل عضلات الظهر والأرداف:

الاستلقاء على الظهر مع ثني الركبتين للصدر حتى لو بمساعدة شخص مع المريض، حتى تشعر بالشد بالظهر والأرداف، أثبت ثواني، كرر التمرين مجموعة 5 مرات لمدة أسبوع.

6- تطويل عضلات الظهر:

الاستلقاء على الظهر مع ثني الركبتين ووضع القدم على السرير، لف الساقين ببطء باتجاه اليمين ثم لليسار مع المحافظة على ثبات الأكتاف على السرير، أثبت ثواني، كرر التمرين مجموعة 5 مرات لمدة أسبوع.

7- تطويل عضلات البدن:

الجلوس على كرسي مع المحافظة على انتصاب القامة، لف الجسم والنظر للخلف لأحد الاتجاهين، أثبت ثواني، كرر التمرين مجموعة 5 مرات لمدة أسبوع.

6- تقوية عضلات الكتف الأمامية:

الوقوف أو أثناء الجلوس على كرسي ورفع الذراع باستقامة للأعلى من الأمام ودون ثني الكوع، أثبت ثواني، كرر التمرين مجموعة 5 مرات لمدة أسبوع حتى وأنت جالس على كرسي.

8- تقوية عضلات الكتف الخلفية:

الوقوف او أثناء الجلوس على كرسي ورفع الذراع باستقامة للأعلى من الخلف ودون ثني الكوع، أثبت ثواني، كرر التمرين مجموعة 5 مرات لمدة أسبوع حتى وأنت جالس على كرسي.

قلت له:

- أريدك أن تكتب لي كل ما سنفعله يا دكتور طوال أيام الأسبوع والشهر بأكمله، لأني أحب التنظيم ولكي أعطي لنفسي الحماس أكثر وأكثر.

قال لي:

- حاضر يا أستاذ معاذ، فيما سبق ذكرت لك تمارين الأسبوع الأول، وسأذكر لك باقي أيام الشهر وأيضاً سأكتبها لك، أنا أعرف ما الذي يدور في ذهنك ولكن نصيحة مني لا تضغط على نفسك ولا تفعل هذه التمارين وحدك وإن فعلتها وحدك، رجاء ارجع إليّ إذا شعرت بأي إجهاد في أي وقت.

قلت له:

- لن أفعل أي شيء دون الرجوع لحضرتك أعدك بذلك، وإن فعلت ذلك وشعرت بأي شيء سأخبرك مباشرة.

قال:

- إذن سأكمل لك باقي التمارين التي سنسير عليها باقي أيام الأسبوع والشهر، وسأحاول جلب بعض الصور لك أيضاً والفيديوهات لشرح التمرين لك.

الأسبوع الثاني:

مقسم على مجموعات على مدار اليوم،

8- تقوية عضلات الكتف الجانبية :

الوقوف ثم رفع الذراعين باستقامة إلى جانب الجسم، أثبت ثواني، كرر التمرين مجموعة 5 مرات يوميا لمدة أسبوع حتى وأنت جالس على كرسي.

9- تقوية عضلات البطن والحوض:

الاستلقاء على الظهر مع ثني الركبتين، أشفط عضلات البطن للداخل، أثبت ثواني، كرر التمرين مجموعة 5 مرات لمدة أسبوع حتى بمساعدة شخص من أفراد العائلة.

10- تقوية عضلات البطن الأمامية:

الاستلقاء على الظهر مع ثني الركبتين، أشفط عضلات البطن ورفع الرأس والكتفين عن السرير وحاول لمس الركبة المثنية، أثبت ثواني، كرر التمرين مجموعة 5 مرات لمدة أسبوع حتى بمساعدة شخص من أفراد العائلة.

11- تقوية عضلات البطن الجانبية:

الاستلقاء على الظهر مع ثني الركبتين، أشفط عضلات البطن ورفع الرأس والكتفين عن السرير ثم لف الجسم لأحد الاتجاهين خارج الركبة المثنى، أثبت ثواني، كرر التمرين مجموعة 5 مرات لمدة أسبوع حتى بمساعدة شخص من أفراد العائلة.

11- تقوية عضلات البطن والحوض:

الاستلقاء على الظهر مع ثني الركبتين، أشفط عضلات البطن ثم أرفع الحوض للأعلى، أثبت ثواني، كرر التمرين مجموعة 5 مرات يومياً لمدة أسبوع حتى بمساعدة شخص من أفراد العائلة.

12- تقوية عضلات مفصل الورك الأمامية:

الاستلقاء على الظهر ومن ثم رفع الساق باستقامة حوالي 20 سم، ودون ثني الركبة، أثبت ثواني، كرر التمرين مجموعة 5 مرات لمدة أسبوع حتى بمساعدة شخص من أفراد العائلة.

13- تقوية عضلات مفصل الورك الداخلية:

الاستلقاء على جنب ومن ثم رفع الساق باستقامة حوالي 20 سم، ودون ثني الركبة أثبت ثواني، كرر التمرين مجموعة 5 مرات يومياً لمدة أسبوع حتى بمساعدة شخص من أفراد العائلة.

14- تقوية عضلات مفصل الورك الخلفية:

الاستلقاء على البطن ومن ثم رفع الساق باستقامة حوالي 20 سم، ودون ثني الركبة، أثبت ثواني، كرر التمرين مجموعة 5 مرات يوميا لمدة أسبوع حتى بمساعدة شخص من أفراد العائلة.

ملحوظه هامة يا أستاذ معاذ، يتم عمل باقي التمارين للأسبوع الثاني مع التمارين الأسبوع الأول ولكن تمارين الأسبوع الأول نقلل عددها أو نثبت عدد التمارين إن استطعت ذلك، وفي حالة الشعور بأي إجهاد أو تعب نأخذ قسط من الراحة مع شرب كثير من الماء وغذاء خضروات وفاكهة طبيعية، ونصيحة مني حاول أن تتابع مع الطبيب المعالج لك الغذاء الصحي الخاص لمرضى التصلب المتعدد، أو على الأقل ما يجب أكله وما يتجنب أكله.

قلت له:

- أكيد إن شاء الله غداً سأذهب إلى الطبيب لكتابة بروتوكول الغذاء الصحي الخاص بي، أكمل يا دكتور باقي التمارين للأسبوعين المتبقيين.

قال:

- أما عن تمارين الأسبوع الثالث والرابع..

15- تقوية عضلات مفصل الركبة الخلفية: الانبطاح على البطن ومن ثم ثني الركبة لملامسة المقعدة أثبت ثواني، كرر التمرين مجموعة 5 مرات مع زيادة مرتين يومياً لمدة أسبوع وترجع من جديد، حتى بمساعدة شخص من أفراد العائلة.

16- تقوية عضلات مفصل الورك الأمامية: الجلوس على الكرسي ثم رفع الفخذ باستقامة للأعلى حوالي 20 سم، ودون ثني الركبة أثبت ثواني، كرر التمرين مجموعة 5 مرات مع زيادة مرتين يومياً لمدة أسبوع وترجع من جديد، حتى بمساعدة شخص من أفراد العائلة.

17- تقوية عضلات مفصل الركبة الأمامية: الجلوس على الكرسي ثم رفع الساق باستقامة للأعلى، أثبت ثواني، كرر التمرين مجموعة 5 مرات مع زيادة مرتين يومياً لمدة أسبوع وترجع من جديد، حتى بمساعدة شخص من أفراد العائلة.

18- تقوية عضلات الساق الخلفية:

الجلوس على الكرسي باستقامة مع وضع القدمين على الأرض، ارفع الأصابع عن الأرض ودون لمس الكاحل الأرض.

19- تطويل عضلة الساق الخلفية:

الوقوف بمواجهة الحائط مع وضع إحدى الساقين أمام الأخرى واليدين على الحائط ثم محاولة دفع الحائط، مع المحافظة على استقامة الساق الخلفية وثني الركبة الأمامية ودون رفع الكاحل عن الأرض، حتى تشعر بالشد في العضلة الخلفية للساق، أثبت ثواني، كرر التمرين مرات.

20- التوازن على الركبتين:

الوقوف على الركبتين مع المحافظة على استقامة الظهر، ارفع الذراعين باستقامة لأعلى الرأس ثم انزلهما، يمكن رفع الذراعين للأمام وعلى جنب أيضاً، أثبت ثواني، كرر التمرين مرات.

21- التوازن على 4 نقاط:

ضع اليدين والركبتين على السرير، أشفط عضلات البطن ثم ميل للأمام ببطء وضع ثقل على اليدين، حافظ على استقامة الظهر، أثبت ثواني، كرر التمرين مرات.

22- التوازن على 3 نقاط:

ضع اليدين والركبتين على السرير، أشفط عضلات البطن ثم أرفع أحدى الساقين عن السرير، حافظ على استقامة الظهر، أثبت ثواني، كرر التمرين مرات.

23- التوازن على نقطتين:

ضع اليدين والركبتين على السرير، أشفط عضلات البطن ثم ارفع أحدى الساقين مع الذراع المقابل له، حافظ على استقامة الظهر، أثبت ثواني، كرر التمرين مرات.

24- تقوية عضلات الأطراف السفلية:

الوقوف باستقامة ثم الصعود والنزول من عتبة الدرج (ارتفاع 15 سم) يمكن الصعود للأمام وعلى جنب أيضاً، أثبت ثواني، كرر التمرين مرات.

الأسبوع الرابع عمل كل النقاط السابق ذكرها على مدار الأسبوع ولكن بعدد محدود وليكن مرة من كل تمرين مما ذكرناه سابقاً.

قلت له:

- يا دكتور حضرتك ذكرت لي في بعض التمارين أنني سأحتاج للوقوف أو الجلوس لكي أفعلها، فكيف سأفعلها وأنا لا أستطيع التحرك على قدمي؟

قال لي:

- أستاذ معاذ لا تمل وخذ العهد معي على الاستمرار واجعل عزيمتك من حديد وأعدك أنك في أقرب وقت ممكن ستتخلى عن الكرسي رويداً رويداً حتى وإن أمسكت بعكاز، لا عليك سنتغلب أيضاً عليه بمشيئة الله وستعود كما كنت.

كلماته تنزل على قلبي كالماء البارد الذي يعيد الأمل لمن فقد الأمل في كل شيء، أخذت معه العهد ألا أمل ولا أيأس أبداً وأن أحارب نفسي حتى أعود من جديد، وكان هذا اليوم الأول الذي يجلس معي فيه بمثابة محاضرة لي قبل البدء في أي شيء ليخبرني أننا سنبدأ بعد غداً بعد الذهاب لطبيب التغذية أو الطبيب المعالج لي، لكي أعرف الغذاء الصحي الذي سأسير عليه فيما بعد مع العلاج الطبيعي كي أعود في أقرب وقت ممكن.

الفصل الثلاثون

ذهب الطبيب وجلس أخي حمد معي يحدثني عن بعض الأمور التي حدثت وكان يكنها بداخله حتى لا أحزن،

حمد:

- معاذ أريد أن أخبرك بشيء ولكن أريدك أن تعاهدني ألا تحزن!

أنا:

- قل يا حمد، فأنا أخذت عهداً مع نفسي ألا أحزن على شيء إلا ابتعادي عن طريق الصواب، فأنا تعلمت كثيراً.

حمد:

- حدثني المحامي اليوم وأخبرني بأن مي ووالدها وأحد إخوتها قاموا بتسجيل بعض الممتلكات الخاصة بك بأسمائهم بعقد بيع وشراء موقع منك.

أنا:

- وكيف ذلك! فأنا لم أوقع لهم على أي شيء؟

حمد:

- أظن والله أعلم أنهم قاموا بتوقيعك على العقود أثناء تواجدك بالمستشفى تحت تأثير المخدر، أنا أخبرت المحامي بأنك لست مجنون كي تفعل هذا الأمر، فقال أن أخبرك بهذا الشيء قبل أن يتم اتخاذ أي إجراء ضدهم بالتزوير.

أنا:

- أقسم لك يا حمد أنني لم أوقع ولا أتذكر أنني وقعت لهم على أي عقود، أخبر المحامي أن يتخذ كافة الإجراءات ضدهم، وأنا سأقوم

غداً بعمل توكيل لك بالطلاق لكي تقوم بتطليق مي بدلاً مني، فأنا لا أطيق النظر في وجه أي أحد منهم بعد الآن.

حمد:

- كما تريد يا معاذ ولكن رجاء لا تفكر الآن في أي شيء إلا صحتك وأن تعود كما كنت.

أنا:

- إن شاء الله يا حمد، لا عليك لا تقلق نهائي عليّ

خرج حمد ليخبرهم بتجهيز الطعام لي، وأخذت أنا أفكر فيما أخبرني به، يا إلهي هل يوجد بشر لهذا الحد من الجرأة والوقاحة في زماننا؟ ماذا فعلت لهم لكل هذا؟ تحولت كل ذرة حب بداخلي تجاه مي وأهلها إلى بغض وكره، فأنا لم أكره في حياتي الآن مثلهم.

أكلت وصليت وأخذت دوائي ونمت، لاستيقظ لصلاة الفجر وأجلس حتى الضحى وأتناول وجبة الإفطار ودوائي وأذهب مبكراً لعمل التوكيل لأخي حمد، أنا وهو وبصحبة أحد المحامين في قريتنا وبعدها نتجه إلى طبيبي لأعرف الغذاء الصحي الخاص بي في الأيام المقبلة.

سارت الأمور كما رتبت لها وتم إجراء التوكيل لأخي حمد وبعدها اتجهنا إلى الطبيب المعالج لي،

أنا:

- صباح الخير يا دكتورة، كيف حالك لعلك بخير.

الطبيبة:

- الحمدلله يا أستاذ معاذ، أنا بخير، أريد فقط الاطمئنان عليك، الحمدلله يظهر عليك علامات التحسن النفسي بعض الشيء، أجل أريدك هكذا لا شيء يستحق الحزن من أجله مهما كانت قيمته.

أنا:

- أنا بخير لله الحمد يا دكتورة، جئتك اليوم لكي أعرف من حضرتك بروتوكول الغذاء الصحي الذي سأسير عليه الأيام المقبلة إن أمكن أو دليني على طبيب متخصص بالتغذية الصحية تثقين به ويكن لديه خبرة في التصلب المتعدد.

قالت لي:

- سأخبرك بعض النقاط الأساسية التي أريدك أن تسير عليها طوال حياتك بالنسبة للتغذية الخاصة بك،

أولاً عليك الإكثار من شرب المياه

ثانياً الابتعاد عن تناول المياه الغازية والمشروبات الكحولية

ثالثاً الابتعاد عن الأطعمة الغنية بالدهون المشبعة

رابعاً الابتعاد عن الزيوت الغنية بالدهون أيضاً وبدلها بزيت الزيتون

خامساً أكثر من الخضروات والفواكه الطازجة

سادساً ابتعد عن السكريات المصنعة والمواد الحافظة وبدل تحلية المشروبات بالعسل الطبيعي، وتناول العصائر الطبيعية الطازجة بدل المعلبة

سابعاً قلل من اللحوم وبالأخص المليئة بالدهون

ثامناً أكثر من تناول الأسماك

سابعاً ابتعد عن النشويات والمخبوزات الغنية بالجلوتين.

قلت لها:

- كلام جميل ولكن لم أفهم بعض النقاط منه يا دكتورة أريد منك برنامج متكامل وقائمة كاملة بالأطعمة التي يجب أن أتناولها وبدائلها، وقائمة بالأطعمة والمشروبات الممنوعة عني.

الطبيبة ضاحكة:

- أستاذ معاذ بعد كل ما ذكرته لك تقل لي قائمة وقائمة!

قلت لها:

- نعم، فأنا لم أحفظ إلا القليل مما ذكرتي وما هو الجلوتين الذي ذكرتيه! وكيف أبتعد عن الخبز وأنا لا أستطيع أن آكل بدون وجود الخبز في كل الوجبات، وكيف أمنع النشويات وأنا من مدمني الأرز والمكرونة؟

قالت:

- سأكتب لك قائمة بالأطعمة والمشروبات الأساسية التي لا غنى عنها في حياتك، وأيضاً قائمة بالأطعمة والمشروبات الممنوعة عنك، وأنت نوع الوجبات كيفما تشاء لكن لا تخرج خارج هذه القائمة، ولا تقلق فهي شاملة لجميع الأطعمة والمشروبات ولكن الصحي منها.

قلت لها ضاحكاً:

- أهم شيء لا تصفي لي أطعمة لا أجدها إلا على المريخ، أريد أطعمة موجودة ومتوفرة في كل مكان.

قالت:

- لا تقلق أكتب معي قائمة بالأطعمة والمشروبات التي يجب أن توفرها في منزلك،

١/ سكر ستيفيا أو يستحسن أن تحلي مشروباتك كما أخبرتك بالعسل الطبيعي

٢/ ملح هيمالايا Dr sold ويجب أن تقلل من الملح في الطعام قدر الإمكان

٣/ أرز بسمتي خالي من الجلوتين، ستجده في معظم الأماكن المشهورة حولك وكذلك الخبز يوجد أماكن تصنعه وماركات تبيعه الآن

٤/ لبن جهينة خالي من اللاكتوز أو أي نوع من أنواع الألبان ولكن يجب أن يكون خالي من الدسم

٥/ زبادي بلدي

٦/ مكسرات بدون ملح مهمة جداً، لأنها تعوض الجسم بفيتامين الأوميجا

٧/ عصير جهينة بيور عشان لو نفسك ف حاجة عصير مسكرة

٨/ برتقال وتصنع منه العصير بالمنزل، فهو مفيد جداً ويعطي الجسم القدر الكافي من فيتامين c

٩/ بذور الشيا من امتنان معلبة ومكتوب عليها خالي من الجلوتين

١٠/ عسل طبيعي من منحل مضمون ومخلوط باللقاح وغذاء الملكات

١١/ شاي أخضر

١٢/ شوكلت دارك مش أقل من ٨٠٪ خذ قطعة مع فنجان من القهوة كل يومين إن كنت من محبي القهوة مفيدة جداً

١٣/ جبن قريش تقطعه مع سلطة طماطم وخس أو كبوتشى وعليها نقطتين من زيت الزيتون

١٤/ زيت زيتون نوع عالي الجودة

١٥/ سجق بلدي أو برجر ويكون خالي من الدهون تماماً وليس معلب ولكن من أي جزار تثق به

١٦/ سمنة بلدي عالية الجودة وتضع نصف ملعقة صغيرة بين كل خمسة وجبات حتى لا تؤثر عليك

١٧/ فواكه وعصائر طبيعية وليست معلبة ويستحسن قليلة السكريات كثيرة المياه

١٨/ مشروب عرق السوس ولكن احترس منه إن كنت من مرضى الضغط ابتعد عنه

١٩/ خضروات كثيرة جداً، حاول أن تجعل في جميع وجباتك جزء من الخضروات والسلطات الغنية بالفيتامينات والمعادن
٢٠/ أسماك، أسماك، أسماك، أسماك، أسماك أكثر من الأسماك قدر الإمكان والمستطاع
٢١/ إذا أحببت أن تأكل دجاج عليك بالصدور ويستحسن أن تكون مشوية مع قليل من السلطة والأرز الخالي من الجلوتين أو الخبز الخالي من الجلوتين
٢٢/ مشروب الزنجبيل والقرفة

هذه هي قائمة بالأطعمة والمشروبات يا معاذ التي يجب أن تجعلها في بيتك معظم الوقت، أما عن الممنوعات من الأطعمة والمشروبات ذكرتها لك سابقاً وأهمها،

الابتعاد عن التدخين نهائياً، الابتعاد عن الزيوت الغنية والمشبعة بالدهون، الابتعاد عن اللحوم الغنية بالدهون، الابتعاد عن المنبهات والكافيين، التقليل من الأملاح والسكريات، الامتناع عن الوجبات السريعة التي تباع في المطاعم والطرقات، الابتعاد عن المياه الغازية والمشروبات الكحولية تماماً.

أما بخصوص وجبات الإفطار والغداء والعشاء، فالأمر كله بيدك أنت أستاذ معاذ، حاول أن تكون وجبة الإفطار خفيفة ووجبة العشاء خفيفة أيضاً ويفضل أن تكون وجبة العشاء قبل النوم بساعتين أو ساعة على الأقل، هذا كل ما يخص التغذية الصحية أستاذ معاذ وقبل كل هذا الاهتمام بالحالة النفسية، مع النوم مبكراً والاستيقاظ مبكراً، أي تنام من ست ساعات إلى ثمان ساعات في فترة الليل.

أخذت تعليمات الدكتورة وخرجت مبتسماً، ها أنا بدأت على الطريق الصحيح وبدأت تحدي ووضعت في مخيلتي وبداخلي شيء واحد، إن كانت الحرب بداخلي ومن حولي شديدة وصعبة فأنا أقوى منها وأستطيع الانتصار على كل شيء، وقبل كل شيء أريد أن أثبت شيء واحد بأني لست بعاجز

وأستطيع العودة مرة أخرى وأن كل من نعتني بالعاجز هو من أصابه الله بالعجز في فكره.

الفصل الحادي والثلاثون

عدت إلى منزلي وبدأت الاستعداد نفسياً ومعنوياً قبل البدء في أي خطوة، تذكرت كل كلمة قيلت لي في يوم من الأيام من أقرب الناس إليّ وجعلتها تحت قدمي وحافز لي في كل شيء سأفعله، جلست مع نفسي بضع دقائق وأخذت أحدث ربي:

- يا رب، أنت تعلم كل ما مر بي وتعلم كل ما شعرت به من ألم ووجع، أسألك يا إلهي العوض الجبر لخاطري، فأنت وحدك تكفيني، يا من كفيت يونس في بطن الحوت، وأمنت موسى في التابوت، أسألك يا من تحيي العظام وهي رميم وأنت حي وحدك لا تموت، أن تعيد الحياة إلى قدمي مرة أخرى وأن تكفيني شر ما خلقت، يا رب أقسم عليك بك بعزتك وجلالك وكرمك وجودك ألا تردني خائباً يا من تجيب المضطر إذا دعاك وتكشف السوء، اكشف عني ما أحاذر وأجب دعائي يا إلهي.

أخذت أدعو وأدعو وأدعو حتى نزلت دموعي على وجهي وذهبت في النوم، لأجد نفسي في المنام أركض حول الكعبة والأمطار تهطل على رأسي، وكأن قدمي من شدة سرعتي ليست على الأرض كأنني أطير كالطير، وإذ بي أسمع صوت يقرأ قول الله تعالى { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (83) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۢ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ (84) }[سورة الأنبياء : 83 إلى 84] استيقظت من نومي وأنا أكرر وأردد هذه الآيات وكأنها رسالة من ربي باستجابة دعائي.

يا الله ما أرحمك وما أحلمك وما أكرم عطائك، هل حقاً يا إلهي استجبت دعائي؟ من أنا يا الله؟ من أنا لكي يستجاب دعائي بهذه السرعة؟ وأخذت

دموعي تنهمر على وجهي من شدة الفرح والحنين إلى رب العالمين، دخل أخي حمد وجدني أبكي:

- ماذا بك يا معاذ؟ لماذا تبكي؟

نادى على أمي وأختي الزهراء، فأتيا مسرعتين:

- معاذ ؟ لماذا تبكي يا حبيبي؟

احتضنتني أمي وتقول لي:

- هل تشعر بأي ألم؟ ماذا يبكيك؟

قصصت لأمي ماذا رأيت، أخذت أمي والزهراء يبكيان معي أيضاً وأخذ حمد يضحك علينا ويقول:

- أتيت بك يا عبدالمعين لكي تعينني وجدتك يا عبدالمعين تحتاج لمن يعينك.

بشرتني أمي وقالت:

- إنها البشرى يا ولدي إنها البشرى، إن شاء الله في أقرب وقت ستتحرك وستمشي مرة أخرى على قدميك وسترى العجب العجاب من رب العباد.

بدأت من هذه اللحظة تطبيق النظام الغذائي الصحي الذي أخبرتني به الطبيبة، وبدأت أيضاً بدء برنامج التمارين الرياضية مع دكتور العلاج الطبيعي، وفي وسط البرنامج التأهيلي مع دكتور العلاج الطبيعي بدأ يغير بعض الأمور معي باستخدام بعض الجلسات باستخدام بعض الأجهزة التي تعطي ذبذبات وموجات كهربائية إلى جسدي، منذ بدء هذه الجلسات

وشعرت بأن حالتي بدأت في التدهور، فأخبرته بأني أريد الامتناع عنها والاستمرار فقط على التمارين الرياضية، قال:

- هذا عملي أستاذ معاذ وأنت لن تعلمني ماذا أصنع؟ ومن الغد سوف نبدأ بأخذ بعض الإبر الصينية التي سوف تعيد بناء مادة المايلين داخل الجسم مرة أخرى.

قلت له:

- لم أسمع عن هذا من قبل يا دكتور! فأنا قارئ جيد عن التصلب المتعدد بكل الجوانب.

فقال:

- لا هذه الطرق يتبعها طبيب مشهور جداً في مصر وتم علاج أكثر من حالة تماماً من التصلب المتعدد بسببها.

قلت له:

- أخبرني من هو هذا الدكتور وسأبحث عن كل الطرق التي تقول عنها، وإن كان كلامك صحيح أعدك بأني سأتبعها.

وبعد إلحاح شديد أخبرني عن اسم هذا الدكتور وبدأت البحث عنه حتى استطعت الوصول إلى رقم هاتف أحد المراكز التي يمتلكها، ومن خلالها يتم بيع هذه المنتجات التي يدعي أنها تشفي من التصلب المتعدد، وبالفعل قمت بشرائها بآلاف الجنيهات، وبدأت بتجربتها وللأسف ساءت حالتي أكثر، قال لي أبي:

- قلت لك لا تجرب أي شيء، فأنت بدأت تتحسن، لمَ تجازف بصحتك يا معاذ؟

قلت له:

- يا أبي نحن مرضى التصلب المتعدد كالغريق الذي يتعلق بقشة كي ينجو.

قال:

- وهل نجوت من الغرق؟

قلت ضاحكاً:

- بل غرقت أنا والقشة!

قال:

- يا ولدي استمر على ما أنت عليه دوائك، غذائك الصحي، التمارين الرياضية وبمشيئة الله في القريب العاجل ستتحرك، أنا أثق في ذلك، ودعك من طبيب العلاج الطبيعي هذا لأنه ظهر على حقيقته بأنه تاجر بأرواح المرضى، ومن الغد سآتي لك بأحد المدربين المتخصصين في التمارين الرياضية ليباشر معك.

قلت له:

- إن شاء الله يا أبي، أسعدك الله سعادة الدارين وأطال الله في عمرك وبارك لنا فيك وفي عملك.

وبالفعل منذ اليوم التالي أتى لي كابتن (عبدالرحمن) وهو في عمري بالضبط وبدأ معي الحديث ببعض الأمور، قال لي:

- أنا أخيك عبدالرحمن ودعك من الألقاب، وسنبدأ مع بعضنا البعض وقبل البدء أريد أن أخبرك بشيء بسيط يا معاذ،

قلت له:

- تفضل يا عبدالرحمن.

قال:

- أنا كنت في يوم من الأيام لاعباً لكرة القدم وأصبت بقطع في الرباط الصليبي والوتر الوحشي ولم أمتلك في بيتي ثمن الكشف الطبي

ولم يقف بجواري أحد، فأنا من يصرف على البيت بأكمله، كنت أجلس وأبكي على حالي فلا أجد من يقف بجواري حتى بدأت أتمرن وأضغط على نفسي وأنفذ ما تعلمته طوال حياتي، أقسم لك يا معاذ أنني عدت أتحرك على قدمي دون إجراء أي جراحة نهائياً وأريدك أن تضع يدك على ركبتي لأريك شيء.

وضعت يدي على ركبته وبدأ يحركها فشعرت بطرقعة في ركبته وبدأت أتعجب وأقول له:

- ألا تؤلمك! وكيف استمريت؟

قال:

- تركت كل أمري لله ووثقت في الله وفي نفسي، حتى عدت وأنا الآن بطلاً للجمهورية في أكثر من بطولة في كمال الأجسام ولدي صالة للألعاب الرياضية وأقوم بمساعدة حالات كثيرة مصابة بأمراض الأعصاب والعضلات، فكل ما سنفعله هو إعادة ضخ الدم في الأوردة وتحريك العضلات بشكل طبيعي، وأعدك بمشيئة الله أننا يداً بيد ستعود وتتحرك، هيا لنبدأ؟

قلت:

- هيا بنا وأنا متفائل جداً بأمر الله.

وبدأنا أنا وكابتن عبدالرحمن في التمارين الرياضية بدون أي ملل، واجهت بعض الصعوبات في البداية وهو يساعدني في تحريك جسدي ويقول:

- أترك لي نفسك تماماً وكأنك جماد وأنا سأقوم بتحريكك يا معاذ.

فعلت ذلك ومع مرور الوقت مع الغذاء الصحي والحالة النفسية الجيدة والغذاء الصحي الذي كان يصنعه لي أخي حمد وزوجته وأختي الزهراء وأمي حفظهم الله ورعاه، حدثت المعجزة وما لا يتوقعه أحد، بدأت ولأول مرة منذ شهور احرك أصابع قدمي وحدي، أشعر بسعادة بالغة وكأني ملكت الدنيا

بأسرها، وخزات الإبر والتنميل شديد ولكن لا يهمني ذلك، فأنا أحرك أصابعي، بكيت من شدة الفرح واحتضنني عبدالرحمن وأخي حمد من شدة الفرح، وبعد يومين فقط بدأت لأول مرة أقف على قدمي بمساعدة أخي حمد وعبدالرحمن ومن يحيط بي، يا إلهي ما شدة الفرحة التي تعم المنزل في هذا الوقت! وبعد أسبوع واحد بدأت أقف بالاستعانة بعكازي الجميل والتقطت أول صورة لي بالعكاز وقمت بتحميلها على الفيس بوك وكتبت فوقها:

- إلى الذين ينتظرون سقوطنا، إن وقوفنا أطول من أعماركم.

وإذ بي أجد ما يحدث وما لم أكن أتوقعه!

رسالة من والدة مي:

- معاذ كيف حالك؟ هل هانت عليك العشرة يا معاذ؟ ونسيت مي وحبها لك وكل ما فعلته من أجلك؟ نريد فتح صفحة جديدة وننسى كل ما حدث يا معاذ، ننتظرك في أقرب وقت.

قمت بالرد على رسالتها وقلت لها:

- أنا لله الحمد في نعمة كبيرة جداً، ولكن أريد أن أخبرك بشيء بسيط، من لا يتحملنا في وقت الشدة، لا نستطيع أن نتحمله في وقت الرخاء، أخبري مي أنني أشكرها جداً وقولي لها لولا كلمتها أنها لن تستطيع أن تكمل حياتها مع إنسان عاجز ما كنت أقف الآن على قدمي، أخبريها لكي تستعد خلال أيام سيكون أخي عندكم ليتمم إجراءات الطلاق.

وأخذت أثابر وأعافر وأجتهد لأعود من جديد في أقرب وأسرع وقت، وبالفعل وفي وقت قصير بدأت أترك العكاز واتكئ على الحائط، رويداً رويداً أقف وأسير وحدي، وأقع وأقف مرة أخرى، حتى اعتدت أن أسير وحدي وبدون مساعدة أي شخص وأول ما فعلته هو السجود لرب العالمين، سبحانه من

لا يعجزه شيء، وأمسكت قلمي وبدأت أكتب كلمات وداعي للكرسي المتحرك وعكازي الجميل،

«كرسيي الجميل: كيف حالك؟ هل اشتقت إليّ؟ هل كنت تعتقد أنني لن أفارقك؟ لا يا صديقي الجميل فلابد من الفراق في يوم من الأيام، فلا تحزن ولكن يجب أن تفتخر بأنك قد عانقت يوماً ما رجلاً لا يستسلم بسهولة مهما كانت حالته، يجب أن تفتخر بأنك عانقت يوماً ما رجلاً لا يهاب أي شيء ولا ينكسر مهما كانت النظرات، فقد كنت لطيفاً معي في كل وقت تساعدني فيه وكنت أيضاً مصدراً لاحتقار بعض الأشخاص لي، فشكراً لك على كل ما قدمته لي سواء في مساعدتك أو في سخط من لا يستحق الوجود في حياتي، هل تعلم أنك كنت سبباً في ابتعاد بعض الناس عني!

هل تعلم أنك كنت سبباً في الحزن بعض الأوقات ولكن دائماً كنت أنظر إليك أنك ضيفاً ثقيلاً على قلبي وسيأتي اليوم الذي أفارقك فيه!

هل تعلم أن في يوم تركك والتخلي عنك قد بكيت بكاءً شديداً، لأني أحببتك بعض الشيء لكشف من حولي، وأيضاً بكيت لأني أخيراً قد انتصرت عليك وكل من حولي يتنبئون بفشلي في التخلي عنك!

هل تعلم أنني بسببك سمعت كلمة لن أنساها طوال عمري، ولو سمعها البعض ليأس من الحياة كاملة وهي جملة «لن أستطيع تحمل العيش مع إنسان عاجز»

أجل نزلت عليّ هذه الكلمات كالصاعقة ولكن اتخذتها بمثابة المعركة ويجب أن انتصر، وها أنا قد هزمتك بفضلٍ من الله ثم إرادتي وصمودي وأنت قد بقيت وحدك، شكراً لك، شكراً لك، شكراً لك، وشكراً للشعور الذي جعلته يترسخ بداخلي يوم التخلي عنك وكأنك تقول لي تركتني وحدي، وانتصرت فلا تفرح كثيراً فأنت ذاهب لأخي العكاز الجميل، نعم أقسم لك شعرت وكأنك تحدثني هكذا ولكن اليوم أبشرك أقصد أحزنك بأني قد انتصرت أيضاً على

أخيك العكاز الجميل، بالرغم من شدة المعاناة التي واجهتها في التغلب عليه إلا أنني أخيراً قد تركتكما معاً، فتسامرا وتحدثا مع بعضكما البعض وافتخرا بأنكما وأخيراً قد واجهتما من لا يهزم ولا ينكسر أبداً وأخيراً واجهتما من استطاع التغلب عليكما في رحلة يصعب على الكثير الانتصار ولكني قد انتصرت، وقريباً سينتصر جميع إخوتي بمشيئة الله وتجتمعا بباقي عائلتكما حتى لا تبقيا وحدكما، فشكراً لكما ثم شكراً لكما لأنكما كنتما سبباً فيما أنا فيه الآن، فصدق القول «رُب ضارة نافعة» وأنتما أكبر ضارة وأصبحت بسببكما في أكبر نفع بفضل الله تعالى، أحبكما كثيراً ولكني لا أرغب في زيارتكما مرة أخرى، هذه كلماتي لكما، فشكراً لمن تسبب في تغيير حياتي»

الفصل الثاني والثلاثون

مرت الأيام وانفصلت انفصال تام عن مي وأصبحت صفحة وطويت، بل وقد أحرقتها بكل ما فيها وأصبحت أيقونة ومثال لكل مريض ومحارب للتصلب المتعدد في معظم الدول العربية، وبدأت أمارس حياتي الطبيعية كما كنت في السابق قبل التصلب بل وأفضل، فما أجمل الشعور أن تكون سبباً في إدخال البسمة في نفوس الآخرين وأن تكون مصدراً للإلهام للبعض، فصدق رسول الله صل الله عليه وسلم حينما قال «خير الناس أنفعهم للناس»

تم اختياري لأكون محاضر ومدرب للتنمية والموارد البشرية بإحدى الجامعات بإحدى الدول العربية، بعد أن رأتني المستشارة الإعلامية لتلك الجامعة في أحد الفيديوهات التي أقدمها لدعم المرضى نفسياً، وبدأت العمل رسمياً معها أونلاين عن طريق أحد برامج التواصل الاجتماعي؛ نظراً لظروف السفر والابتعاد بسبب كورونا، كم هو جميل أن ينتظر كتاباتك الجميع بلهفة وتشوق، والشعور الأجمل عندما يرسل إليّ أناس لا أعرفهم ولم أحدثهم من قبل، رسائل ويقولون فيها أن بسبب كلماتي والفيديوهات التي أقوم بنشرها تحسنت حالاتهم، يا الله ما هذا الجمال وما هذه الروعة والفرح الذي يتملك قلبي في هذه اللحظات!

تمر الأيام والليالي وأزداد مكانة بين محاربي التصلب المتعدد وكل من يعرفني، الجميع يحب الحديث معي لما أبثه بداخله من تفاؤل وأمل، وبعد مرور عدة أيام وليالي التقيت بفتاة صدفة ويا لها من فتاة جميلة الخلق والتربية، بدأت الحديث معها رويداً رويداً حتى شعرت بالارتياح النفسي تجاهها ولم أنتظر الكثير وجلست مع والدتي ووالدي وإخوتي وأخبرتهم بأني

ارتبطت بفتاة وصفاتها كذا وكذا، فرح الجميع بقراري والخبر، فها أنا أعود لحياتي الطبيعية كما كنت والكل أيدني على قراري وقالوا توكل على الله، ولكن كان العائق أمامي هو التصلب المتعدد، هل يا ترى أخبرها به الآن أم لا؟!

جلست مع أمي أحدثها وأسألها ماذا أفعل؟

قالت:

- يا معاذ أخبرها يا ولدي بما تعاني، هذه نصيحتي لك حتى لا تتكرر التجربة الأولى كما حدث مع مي، فمن يعرف مشاكلك منذ البداية ينظر إلى نفسه إن كان يستطيع التحمل سيكمل طريقه معك وإن لم يستطع يا معاذ سيخرج من حياتك مبكراً قبل أي شيء، وهذا أفضل يا ولدي، فالقلوب ليس هين عليها أن تجرح من حين لآخر، ولكن قل لي، هل أخبرتها بقصتك مع مي وما حدث يا معاذ أنك مطلق الآن؟

قلت لها:

- أجل يا أمي ولكن لم أخبرها بالتفاصيل كاملة، فقط أخبرتها أن السبب وعكة صحية وبعض المشاكل فقط.

قالت أمي:

- لا يا معاذ، عليك أن تصارحها يا ولدي وأن تحكي لها كل شيء عن التصلب وكل ما تعرفه عنه، حتى تبني علاقتك معها بكل شفافية وصراحة.

قلت لها:

- حاضر يا أمي سأخبرها بكل شيء.

اتصلت عليها:

- السلام عليكم يا داليدا كيف حالك؟ هل أستطيع التحدث معك في أمر هام؟

داليدا:

- تفضل يا معاذ، أنا بخير الحمد لله وأسمعك ماذا بك؟

قلت لها:

- داليدا، أنا أخبرتك بانفصالي عن مي طليقتي بسبب بعض المشاكل، ووقوعي في وعكة صحية، ولكن أنت لم تسأليني عن طبيعة ما أصابني وما هي الوعكة الصحية التي مررت بها؟

قالت:

- لم أسألك لأني تابعت كل منشوراتك على الفيس بوك وكل فيديوهاتك يا معاذ وعرفت من خلالها بأنك تعاني من مرض اسمه التصلب المتعدد الذي تكتب عنه دائماً وقرأت عنه كل شيء، وأنت فعلاً مثال وقدوة لأي شخص وشرف لأي بنت يا معاذ، وأنا أوافق عليك بأي وضع وسأطرح عليك سؤال!

قلت لها:

- تفضلي يا داليدا.

قالت:

- إن كنت أنا مكانك في هذا الوضع هل كنت ستتركني؟

قلت لها:

- لا، نهائي.

قالت لي ضاحكة:

- لماذا إذن تحدثني وكأني بعد معرفة ما أصابك سوف أتركك؟ يا معاذ الابتلاء شيء ليس لنا دخل فيه، فهو أمر من عند الله والجميع معرض لأي شيء في أي وقت ولكن تختلف العقليات

والتفكير، واصرارك على النهوض من جديد جعلني أزداد فخراً وتمسكاً بك، فأنا معك وبمشيئة الله سنتغلب على أي شيء.

قلت لها:

- أريد أن أحدث والدك الآن.

قالت:

- ماذا؟ الآن؟ وكيف ذلك؟ لا يا معاذ لا أستطيع ذلك.

قلت لها:

- إذن أنا سأستطيع الوصول لوالدك، أو أرسلي لي رقم هاتفه وسأحدثه لتحديد موعد معه لمقابلته وخطبتك يا داليدا، هل توافقين أن تكوني من نصيبي وزوجتي إن شاء الله؟

قالت:

- أظن أنني أجبتك يا معاذ، أنت إنسان محترم وتستحق كل خير وشرف لي أن أكون زوجة لك.

أنهيت الاتصال مع داليدا والفرحة لا تسعني وكأني ملكت الأرض بأكملها، فها هو الجبر والعوض يأتي من الله وعندما يأتي عوضه يتعجب أهل الأرض والسماء من روعته.

تقدمت لداليدا وتمت خطبتنا والأهل هنا وهناك كأنهم عائلة واحدة، فما أجمل المودة والمحبة التي أراها بين الجميع تعم، وما أجمل الفرحة والانتصار بعد الخذلان والانكسار.

الخاتمة

عندما يسير المرء منا يقابل في طريقة مئات الأشخاص كل يوم، وجوه مختلفة، طبقات متفاوتة، ولكن الشيء الوحيد الذي نتفق فيه جميعاً هو أنه لا أحد فينا يخلو من الصراعات الداخلية أو الخارجية، ولكن منا من تجتمع عليه كلتا الصراعات الداخلية منها والخارجية، وهذا الشخص هو أشد الناس حرباً ولا يعلم بقدر ما فيه إلا من خلقه، فحاول أن تكون الشخص الذي يفتقده الجميع واترك الأثر الجميل دائماً في نفوس كل من يقابلك في طريقه ولو بابتسامة بسيطة، فالابتسامة تصنع المعجزات، ورسالتي الأخيرة لكل من يحيط بنا ومن يوجد في حياته محارب من محاربي التصلب المتعدد عليكم معرفة الآتي عنا:

• رسالة إلى كل من يحيط بمحارب التصلب المتعدد.،

أهلي وأصدقائي وأحبائي: هل تعلمون أننا لسنا مصدر لتصدير اليأس والحزن في نفوسكم، ولكن نحن أشخاص قد اصطفانا الله من بينكم ليبتلينا بشيء لا يعلم قدره إلا هو «فرفقاً بقلوبنا»

هل تعلمون أن الكلمات تحيي الأمل والحياة فينا، وأيضاً تستطيع أن تدمر كل مشاعرنا وكل ما هو جميل فينا وحولنا، وأن الكلمة الطيبة صدقة «فرفقاً بالكلمات» ولتخبرونا حسناً أو تصمتوا خيراً لنا ولكم.

هل تعلمون بأن بعضنا يحتاج منكم أن تكونوا مصدراً للتفاؤل ولا نحتاج منكم نظرة بالشفقة، فقط كلمة طيبة ومساعدة خالصة لوجه الله إن احتجنا إليها «فرفقاً بالنظرات»

هل تعلمون بأن الله إذا أراد أن يشتد علينا الألم لا تعرفون كم نعاني بما نشعر به في ذلك الوقت، فوالله كأن النار والإبر تجتاح أجسادنا

«فرفقاً بمشاعرنا»

هل تعلمون أننا مرهفون الحس والمشاعر وننتظر كل كلمة جميلة؛ لنستطيع المقاومة واجتياز التحدي

«فقولوا دائماً خيراً»

هل تعلمون بأن معظمنا ابتلاه الله بهذا الابتلاء نتيجة لبعض الضغوط العصبية والنفسية، فلا تحملونا أكثر مما نتحمل

«فرفقاً بنا»

هل تعلمون بأن كلمة العجز التي تقولونها في بعض الأحيان سواء بقصدٍ أو بغير قصد كفيلة بأن تقتل الأمل فينا، وكفيلة فعلاً بأن تصيبنا بالعجز النفسي في المقاومة

«فرفقاً بالحروف والكلمات»

هل تعلمون بأن الله قال «وما جزاء الإحسان إلا الإحسان» فإن أحسنتم إلينا أحسن الله إليكم وهنيئاً لمن أحسن الله إليه دون البشر

«فرفقاً بأنفسكم»

هل تعلمون بأن الكلمات دَين ويرد مهما طال العمر أو قصر ، فكل ما تفعله يرد إليك، فافعل الخير وانتقوا كلماتكم وأفعالكم معنا ومع أنفسكم، فما تدري لعل دعوة لمظلوم أو من شخص تأذى بكلماتكم تصعد لرب السموات والأرض فترد إليكم أضعاف ما كنت تظنون

«فرفقاً بنا في أفعالكم»

هل تعلمون بأن الذي تقدموه لنا في الدنيا يعود إليكم بالخير في الدنيا ويوم نلقى رب العالمين

«فقدموا الخير ولا تنتظروا الشكر منا، بل انتظروا الخير من رب الخير»

هل تعلمون بأننا سنحارب ونقاوم وننتصر بكم أيضاً مع أنفسنا

«فكونوا بجوارنا ولو بكلمة طيبة»

في النهاية أنتم السند ونحن بالله ثم بأنفسنا ثم بكم أقوى، فكونوا خير الوتد والسند وكونوا لنا سنداً نتكئ عليه حتى نعود من جديد

«وبين العزيمة والهزيمة حرف واحد فقط، لكنه يغير اتجاه الحياة»

فإن كنتم أنتم تحاربون ظروف الحياة الخارجية أو بعض الضغوطات النفسية، فأنتم لا تعرفون ما نواجه نحن حقاً فنحن نواجه تآكل المايلين وهو الحرب الحقيقة من الداخل والتي يجهلها كل من يحيط بنا.

المحتويات